الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط

موسومة بـــ:

الكدية وأهلها ببلاد الأندلس في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:

- بن فايد خالدية
- بلهول ربـــيعة

إشراف: الأستاذ الدكتور

بلقاسم بن عودة

لجنـــــــــــة الـــمناقشـــــة

د. لـكـحـل فـيـصـــل	رئـــيـســـــا
د. بـلـقـاســـم بـن عـودة	مشـــرفا ومقررا
د. عـــلـــيـــلـــي محـــمـــد	عضـــــــوا

الموسم الجامعي:

(1440ـ 1441هـ) الموافق لـ (2019- 2020م)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ
عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

سورة الإسراء

شكر وتقدير

لا يَشكُرُ اللّهَ مَنْ لا يَشكُرُ النّاسَ

في البداية نحمد الله عزّ وجل حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على حبيبه المصطفى ونبيه المُجتَبَى... أما بعد:

نتقدم باسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الدكتور المشرف:

"بلقاسم بن عودة"

الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة التي مهّدت لنا الطريق لإتمام هذا العمل، ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذين المناقشين، وإلى كل أساتذة قسم العلوم التاريخ.

كما يشرفنا أن نتقدم إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث ماديا أو معنويا، من قريب أو من بعيد. وإلى كل من علمنا حرفا وأنار لنا دربا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إهـــــــداء

الحمد لله الذي بعونه تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيد الأنبياء والمرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين... أما بعد:

- ✓ إلى ملاكي في الحياة ... إلى منبع الحب والحنان...والتي لن أوافيها حقها مهما قدمت لها، إلى قرة عيني أمي الغالية.
- ✓ إلى من كلمانه أقوى تأثيرا من صفعات أمي، رمز الفخر والاعتزاز، الذي شق لي درب الحياة من أجل راحتي، إلى من حرصه على مستقبلي أذهلني... أبي العزيز.
- ✓ إلى شركائي في عرش أمي وأبي، إخوتي وأخواتي، حفظهم الله من كل سوء.
- ✓ إلى حبيبات قلبي ورفيقات دربي وخاصة من شاركني في إنجاز هذا العمل "بن فايد خالدية."
- ✓ إلى الدكتور المشرف: "بلقاسم بن عودة " حفظه الله وإلى كل أساتذة قسم التاريخ.
- ✓ إلى كل إخوتي وأخواتي في الله، ومن يعرفني من قريب أو من بعيد، وخاصة من ساعدني في هذا العمل.

إلى كل من يحمله قلبي ولم يخطه قلمي.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

ربيعة

اهـــداء

الهي لا يطيب الليل الا بشكرك، ولا يطيب النهار الا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات الا بذكرك.. ولا تطيب الجنة لا برؤيتك جل جلالك.

- الى ملاكي في الحياة.. الى معنى الحب.. الى معنى الحنان.. الى من كان دعاءها نجاحي.. وحنانها بلسم جراحي.. الى أغلى ما أملك
- "امي الحبيبة"
- الى من أحمل اسمه بكل افتخار، أطال الله في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار، وستبقى كلماتك نجوما أهتدي بها
- "أبي الغالي"
- الى إخوتي وأخواتي كل باسمه وأهلي وأحبتي في مل مكان.
- الى من ساعدني في انجاز هذا العمل المتواضع "ربيعة" ز
- الى الدكتور المشرف "بلقاسم بن عودة" والى كل أساتذة قسم التاريخ.
- الى كل من تمنى لي الخير.

خالدية.

دليل المختصرات

الرمز	المعنى
ت ر	ترجمة
ط	طبعة
ص	صفحة
م	ميلادي
هـ	هجري
تح	تحقيق
ج	جزء
مج	مجلد
ت	تاريخ
تع	تعليق

مقدمة

بسم الله والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد خلق الله سبحانه عز وجل بني آدم، وأوكل لهم مهمة الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وأراد من هذا الإنسان بعد تحقيق العبودية له أن يكون قويا منتجا لا متكاسلا متوكلا، فحث على العمل وبين أن أفضل وأطيب ما أكل الإنسان ما كان حلالا ومن كسب يده، وأثنى على الإنسان الصابر الذي مع حاجته لا يسأل الناس، إنما يصبر ويبحث عما يعفه.

وكون المجتمع يحتل مكانا في تشكيل العمران البشري، ومدام الفرد فاعلا في المجتمع، فإن نظرتنا إليه تشكلت بناءً على ما ينتجه، فالفرد بحرصه على العمل والكد فيه يصبح فردا فاعلا ونافعا لنفسه ولمجتمعه، وبالحديث عن المجتمع فإننا سنسلط الضوء على المجتمع بالعدوة الأندلسية في حقبة من الحقب الزمنية وهي العصر الوسيط فلقد شهدت العدوة الأندلسية كغيرها من الأقاليم الجغرافية الأخرى أزمات وكوارث متعددة، حيث عرفت المنطقة على إثرها العديد من التحولات الكبرى والانعطافات الحاسمة في مسارها التاريخي، فكانت ظاهرة الكدية أو التسول من أخطر الأزمات وقعا في أواسط المجتمع فلقد تحتم على الإنسان أو الفرد في الأندلس معايشتها. كل هذا كان تحت وطأة الظروف، عبرت عن أحوال الفرد والمجتمع في أوقات مختلفة، وأن مسؤولية تفشي وانتشاره ظاهرة التسول لا تقع على الفرد فحسب بل على النظام الاجتماعي أيضا حيث أن هذه تواجدت في المجتمعات التي يسود فيها التفاوت الاجتماعي والطبقي بين الناس، أو تسود قيم اللامبالاة واللا مسؤولية ويغيب الوعي بشأن هذه الظاهرة، بناءً على هذا نعتقد أن شريحة المتسولين لم تكن سوى إفراز لهذه الأزمات وانعكاسا للتمايز الاجتماعي الذي تمخض عنه بروز تناقضات اجتماعية وقطاعات غير قادرة على تحصيل عيشها، عاجزة من الاندماج في عملية الإنتاج.

تكمن أهمية دراسة موضوع: "الكدية في بلاد الأندلس في العصر الوسيط" تكمن في محاولة إزالة العتمة عن مراحل صعبة عاشها هذا الفضاء الجغرافي إبان تعرضه لمثل هذه الظاهرة والتي لها من دون شك أثار سلبية على كافة المستويات، على الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديموغرافي، ولها انعكاسات على الأفكار والذهنيات والرؤى، إضافة إلى كونها إضافة علمية تصب في موضوع يعد من أهم المواضيع التي تعاني منها الأندلس والتي خلقت آثارها على الفرد والمجتمع بصورة عامة، كما أنها الآفة التي كانت نتاج لعدة عوامل متعلقة بشخصية المتوسل ذاته وعوامل ناتجة عن أحوال المجتمع بأكمله، جاءت الدراسة للوقوف عليها والبحث والتقصي عن الأساليب الشرعية التي وجهت لمحاربته.

إن الدراسات السابقة قد أفاضت الحديث عن الجانب السياسي والعسكري لبلاد الأندلس، يوجد من لامس الجانب الحضاري، لكن في مقابل ذلك فلقد أهملت فقرات الضعف والانتكاس، فظلت ظاهرة التسول حلقة من حلقات التاريخ المنسي وأنه لم يكن لها الحظ الأوفر في كتابات المؤرخين وأن فئة المتسولين والمكدين اعتبرت من فئة المهمشين، والطبقات الدنيا المعدمة.

والدراسات التي تناولت موضوع الكدية بالأندلس في العصر الوسيط عموما محدودة، إلا أنها أفادتنا سواء من ناحية المنهج أو من ناحية التنظيم للموضوع، ولعل أهمها كتاب "مستقبل الفقراء في الدول العربية" الذي تناول فيه صاحبه أسباب انتشار الكدية بعد أن فصل في ذكرها وتعدادها، ومثله كتاب أخر بعنوان" آثار التسول" ذكر فيه صاحبه أهم الآثار التي خلقها الكدية على الفرد أو المجتمع ككل، ونجد أيضا رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية بعنوان" احتراف التسول وآليات مكافحته بين الشريعة والقانون الجزائري"تحدث صاحبه عن أهم الأسباب المساهمة في انتشار الكدية، أيضا نجد رسالة ماجستير في الأدب بعنوان: " الاحتيال في مقامات الحريري العبرية مصادره وأشكاله وأهدافه، فصل صاحبه عن مظاهر الاحتيال التي نهجها المكدون لبلوغ غاياتهم.

فمنذ أن دأبت أقلام الكتاب والمؤرخين على تدوين التاريخ الأندلسي باعتبار أن الأندلس ذلك الفردوس المفقود ألفت فيه المصنفات والمكدسات الغير متناهية، وإذا نظرنا هذه المصنفات يعين الباحث البصير نجد أن أغلبها أسرفت في الحديث عن فئات من المجتمع كان لها الحضور القوي والبارز في الساحة السياسية والعسكرية على غرار نظيرتها من فئات المجتمع، وإذا أزحنا النظر عن مضمون هذه المؤلفات وبحثنا في ثناياها وهوامشها نجد أن هذه الفئات قد ذكروا على استحياء كون أن هذه الفئة لم تحظبالسلطة والمكانة المرموقة ووسائل الترف التي توفر العيش الكريم، بسبب أنهم انتهجوا عادات وأخلاقا مذمومة فرضتها ظروف الحياة القاسية من أجل تحصيل رزقهم المعيشي وإيجاد قوتهم اليومي فتكسبوا بما لم يرضوا لأنفسهم ولم يرضاه غيرهم **فإلى أي مدى يصدق هذا الرأي؟**

وقد تأخذنا هذه الإشكالية إلى طرح مزيد من التساؤلات مفادها:

- ما مفهوم الكدية وماهي أهم المفاهيم المقاربة لها؟
- ما هو حكم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من هذه الظاهرة؟
- ما هي أهم السبل والطرق المنتهجة التي اعتمدها المكدون، وما هي صفاتهم؟
- ما هي أهم الأسباب والعوامل المؤدية إلى انتشار هذه الظاهرة أواسط المجتمع الأندلسي؟

ويعود الدافع اختيارنا الموضوع الذي هو تحت عنوان: "الكدية وأهلها ببلاد الأندلس في العصر الوسيط" هو أن هذه الدراسة لم تنل الحظ الوفير من الدراسات في حين أنها تستحق الوقوف عندها ودراستها دراسة عميقة خاصة أنه إذا عملنا على بناء نسق تاريخي متكامل حول الأندلس في العصر الوسيط، وكذلك الطابع المميز الذي تكتسبه مثل هذه الدراسات إضافة إلى أننا من خلال الدراسة نحاول كشف معاناة المتسولين ومعرفة الأسباب وراء ممارستهم فعل التسول، ومحاولة فهم الظاهرة من خلال الإلمام بجوانبها وذلك لمعرفة حجمها وتأثيرها داخل المجتمع الأندلسي وبدورنا نسعى للوصول إلى نتائج علمية

ونتعرف على الدور الذي تلعبه هذه الظاهرة على مختلف الجوانب الاقتصادية منها والسياسية ومعرفة الطرق والأساليب التي يتبعها المكدون في ممارستهم لتلك الظاهرة خاصة وأنها كانت نتاج عدة عوامل ناتجة عن أحوال المجتمع، فجاءت هذه الدراسة للوقوف والتعرف عليها، والبحث والتقصي عن الأساليب الشرعية التي وجهت لمحاربة الظاهرة والحد منها.

لقد تضمنت الدراسة مدخلا تحت عنوان "الأحوال الاجتماعية في عهد عبد الرحمن الداخل وبعده" وقد حاولنا من خلاله دراسة المجتمع الأندلسي وأوضاعه وسلط الضوء على أهم الطرقات التي شكلت المجتمع في هذه الفترة والوقوف على أهم شرائحه وتركيبته الاجتماعية، إذ يمكننا من خلال تلك المعطيات التاريخية البسيطة أن تكون أساسا تبنى عليها تصورنا التاريخي، كما كان لزاما علينا الإطاحة بمختلف الجوانب السياسية والاقتصادية وهذا نظرا لتأثيرها على الجانب الاجتماعي، كما أننا وقفنا على ذكر أهم المحطات التاريخية التي شهدتها الدولة الأموية بالأندلس.

أما الفصل الأول: حمل عنوان 'الكدية بين المفهوم والنشأة والحكم' وتم فيه تحديد مفهوم الكدية اللغوي والاصطلاحي، ثم ذكرنا أهم المفاهيم والمصطلحات المقاربة للكدية، ثم التعريج على أهم الأسباب المساهمة في انتشار وتفشي هذه الظاهرة في أواسط المجتمع الأندلسي خاصة وأنها مست شرائحه مشكلة بذلك مشكلة اجتماعية واقتصادية وحتى سياسية والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهلها، كما وقفنا أيضا على الكدية والاحتيال خاصة وأن التكسب أهم الأهداف التي يسعى إليها المكدون، فالمال الهدف الرئيسي الذي يسعون لجمعه، متخذين في ذلك جل السبل والوسائل ويخوضون المغامرات بالاحتيال لبلوغ هدفهم، كما كان لزاما علينا ذكر حكم الكدية من القرآن والسنة النبوية الشريفة وموقفها حول هذه الظاهرة مستدلين بآيات بينات وأحاديث نبوية شريفة.

أما الفصل الثاني كان بعنوان 'أساليب الكدية وطرق معالجتها من الناحية الفقهية' تم التطرق فيه إلى أصناف الكدية وأهم صفات المكديين منها الصفات الخَلقية وتحديد المظهر

الخارجي والملامح التي كان عليها المكدي، وأيضا الصفات الخُلُقية التي المكدي التي انتهجها لبلوغ غايته، كما ذكرنا الآثار المترتبة عن الكدية سواء الآثار على المكديين أنفسهم وآثارها على الفقراء والمتعففين وأثارها على الأطفال والنساء وأثرها على المجتمع ككل والأثر على العمل والانتاج وفيها أيضا تطرقنا إلى ذكر طرق معالجة التسول في الفقه الإسلامي.

وأما الفصل الثالث عنوناه ب :تصدي الدولة الأندلسية لظاهرة الكدية"، وكان الحديث فيه يدور حول الطرق التي اتبعها الولاة والأمراء في محاربة هذه الظاهرة، بقيامهم بأعمال البر والإ حسان، والصدقات التي قدموها، كما تحدثنا فيه عن الأحباس ودورها الاجتماعي.

بعدها ختمنا هذه الدراسة بخاتمة ملمة شاملة بالموضوع كانت عبارة عن أهم النتائج المتوصل إليها من الموضوع.

كل دراسة تفرض على الباحث اختيار منهج خاص بالموضوع المدروس وربما تعددت حسب طبيعة الموضوع المتناول وهنا نعرض أهم المناهج المتبعة في الدراسة:

- **المنهج التاريخي** : اعتمدنا فيه على معالجة النصوص التاريخية وصياغتها، إذ فرض علينا هذا المنهج على بعض الأحداث التاريخية تقديمها ومحاولة تحليلها وفقا لنطاق بحثنا والمادة العلمية المتوفرة لدينا وكانت دراسة بعض العناصر دفعتنا إلى الاعتماد على المنهج السردي محاولين في ذلك تتبع مسارها التاريخي بالعودة إلى مراحل انتشارها.

– المهنج الوصفي: وهو المنهج الذي يلائم هذا النوع من الدراسة وذلك لأننا وفقنا على ظاهرة اجتماعية احتاجت منا وصفا وتقديم أكثر توضيح حولها أو عرض حقيقتها وتحديد المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بها والأكثر ارتباطا بها ودراستها كظاهرة اجتماعية اجتاحت المجتمع الأندلسي.

وللقيام بهذا الموضوع اعتمدنا على جملة من المصادر التي أفادت موضوعنا نذكر أبرزها:

– المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب للإمام العلامة الفقيه النوازلي أبي العباس الونشريسي (المتوفي: 914هـ)، فقد حوى مجموعة من فتاوى واجتهادات فقهاء القيروان وبجاية وتلمسان وقرطبة وغرناطة ومراكش وغيرهما من عواصم الغرب الإسلامي طوال ثمانية قرون، مما يتم عن إدراك عميق لعلماء هذه البلاد لمقاصد الشريعة الإسلامية، مكنهم من مواجهة المشاكل التي اعترضتهم وإيجاد الحلول الملائمة لما استشكله الناس من أمور دينهم ودنياهم، والذي أفادنا في معرفة حكم التسول في الفقه الإسلامي، وكذلك في موضوع الأحباس ودورها الاجتماعي في بلاد الأندلس في جزئه الحادي عشر.

– نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لمؤلفه المقري، ويعتبر من أهم الكتب التاريخية التي تناولت الحديث عن الأندلس، وقد أفادنا في موضوع ظهور الكدية.. كما تحدث عن تصدي الدولة الأندلسية لظاهرة الكدية، عن طريق الصدقات والأحباس وذكر دورها الاجتماعي في مساعدة المساكين والفقراء والمرضى، وتوفير الرعاية الصحية لهم.

كما اعتمدنا على جملة من المراجع لعل أبرزها:

– كتاب الإسلام السري في المغرب العربي لمؤلفه إبراهيم القادري بوتشيش، خصص فصلا تحدث فيه عن المتسولين في الأندلس، وعن الإهمال والتهميش الذي تعرضت له هذه الشريحة.

– كتاب مقامات بديع الزمان الهمذاني، لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحي المتوفى سنة 398 هـ. تحدثت أغلب المقامات فيه عن صفات المكدين والسبل التي كانوا يسلكونها..

طيلة انجاز هذا الموضوع واجهتنا جملة من **العقبات والصعوبات** تعددت أشكالها في كل مرحلة يمكن تلخيصها كالآتي:

– قلة المادة المصدرية التي تتناول موضوع الكدية وأهلها ببلاد الأندلس خاصة وأن هذه الظاهرة تعلقت بفئات المهمشين والمستضعفين وطبقات المجتمع الدنيا المعدمة والتي لم يكن لها الحظ الأوفر في كتابات المؤرخين.

– مشكلة المراجع التي تتناول هذا الموضوع والتي نقول أنها احتوت على معلومات متكررة.

– لا ترد ظاهرة الكدية إلا عرضا في بطون المصادر أو كجزء من دراسة اجتماعية بين صفحات الكتب لذلك فإن رصدها صعب وهو ما صعب الدراسة.

وبعون الله عز وجل لا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أعاننا في انجاز الموضوع سواء من بعيد أو قريب، خاصة الأستاذ المشرف الذي شجعنا منذ البداية على خوص غمار هذا الموضوع رغم صعوبته، وهو الذي لم يبخل علينا بتوجهاته القيمة ونصائحه، ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى حد ما في معالجة الموضوع بشكل منهجي صحيح.

مدخل:

الأحوال الاجتماعية في عهد عبد الرحمن الداخل وبعده

كانت الحياة الاجتماعية السائدة في مجتمع ما بعد الفتح كانت تخضع إلى الكثير من التفاعلات والضغوطات التي فرضتها الظروف السياسية والاجتماعية، وأدخلت علاقاتهم سواء بالمحيطين الجغرافي أو الاجتماعي في دوامة التأثير والتأثر، ويمكن الإشارة إلى أن النظام الاجتماعي تميّز بنمطين مختلفين ومتباينين بحيث يؤثر كل واحد منهما في الأخر، فالأول يصدر من الفرد الدخيل والمنقل حديثا إلى الأندلس، إما غازيا في جيش أو قادما للعمل أو التعمير، إذ يحمل معه إرثه الحضاري بشقيه المادي والمعنوي والمتمثل أساسا في عاداته ومعتقداته، وطرق عيشه التي اعتاد عليها وأنه يحاول فرض ذلك النمط من المعيشة الذي وجده في الغالب لا يتلاءم مع البيئة الاجتماعية التي أقبل عليها، فيكون هذا الاجتماع بداية لظهور العديد من المصطلحات الاجتماعية التي تؤسس ذلك الترابط، فهذا المجتمع الذي أقبل عليه إما يكون مفتوحا يسهل الاندماج والتأثير فيه أو يكون مغلقا يتعذر بذلك انصهار الأفكار وتلاقحها بين المجتمعين[1].

أما الثاني فهو يصدر من الدولة والتي تنصهر داخلها جميع الأعراق والأجناس والفئات، وتحاول فرض نمط عيش معين خاضع لقوانين وحدود وعادات وتقاليد، تكون في الغالب جديدة على المجتمع الدخيل، أين يصبح الفرد غريبا عن مجتمعه أو يكاد وبالتالي يكون مجبرا على اختيار عصبية صغرى متمثلة في القبيلة لتحتضن أفكاره ومعتقداته الفكرية والإبداعية،أو يبقى منعزلا في مجتمعه كونه لا يعير أي اهتمام لتلك التغيرات الحادة.

وإن تركيبة المجتمع الأندلسي في كل فترات تاريخيه تتعلق تعلقا مباشرا بطبيعة تلك الأراضي وكيفية توزيعها والاستقرار فيها وهذا ما يأخذ إلى القول بأن المجتمع هو من صنع وجوده وجعل أنماطا جديدة في طريقة العيش، فرضت نفسها خاصة وأن أحوال المجتمع شهدت الثورات وما صاحبها من أوضاع اجتماعية وأخلاقية ساهمت في تشكيل الذهنية للمجتمع، حتى إذا ما استثنيا ذلك فإن

[1]- مزرعي سمير، السلطة والمجتمع في عصر ملوك الطوائف خلال القرن 5هـ-11م، (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط)، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران أحمد بن بلة، 1438-1439هـ-2017-2018م، ص 21.

تكوين المجتمع تساهم فيه السلطة الحاكمة والتي كانت غائبة قس ظل الأزمات التي كانت تعيشها الأندلس، بل عمدت إلى تسخير نفوذها لخدمة مصالحها الخاصة لا خدمة المجتمع، بل أنها ساهمت في جعل فئات مجتمعا أكثر عدوانية[2].

تشكلت التركيبة السكانية للأندلس من عناصر مختلفة كان العرب أبرز عناصرها، فقد سيطروا عليها منذ البداية، وقد دخل العرب على شكل موجات متتابعة، انقسم العرب إلى قيسية ويمانية وإلى بلدية وشامية، فالبداية هي العناصر العربية التي دخلت مع موسى بن نصير، أي أصحاب البلاد القدماء، والشامية الذين دخلوا في طالعة بلح بن بشر القشيري، رأى بعض العرب الذين دخلوا إلى الأندلس في أنفسهم أنهم أرفع مكانة ودرجة من غيرهم، حيث وجد العرب أمورا تتوافر فيهم دون غيرهم، جعلت بعضهم يحمل نزعة عنصرية اتجاه الآخرين، منها أن العرب جدوا أنفسهم أهل القرآن "المعجزة اللغوية " وبالتالي فضلوا أنفسهم على غيرهم من الأمم[3]، إذ أنه نزل باللغة العربية، كما أنهم حملة الرسالة السماوية التي نزلت بلغتهم، وقد كلف العرب بنشرها للأمم والشعوب المختلفة.ويرى بعض العرب أنهم خير المسلمين، مستندين إلى قوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[4] فالله سبحانه فضلهم على العالمين، ومنحهم أيضا شرف حمل رسالته، وتجدر الإشارة إلى إن الفتوحات الاسلامية وانتصار الإسلام على ما يبدوا جعل بعض العرب المسلمون يشعرون بالاستعلاء على غيرهم من المسلمين من غير العرب[5].

---

[2]- مزرعي سمير، المرجع السابق، ص : 21-23.

[3]- إسراء محمد نجيب بوعمر ، العنصرية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة الأموية (92-422هـ)- (710-103م)، (أطروحة لنيل شهادة ماجيستير قي التاريخ الأندلسي) ،كلية الدراسات العليا في جامعة الخليل ، إشراف عمر ثلني ، 1438هـ /2017م ، ص 8.

[4] – سورة آل عمران. الآية :110

[5]- إسراء محمد نجيب ، المرجع السابق ، ص 09

يعد أيضا البربر من العناصر الأولى التي دخلت الأندلس، إذ أن معظم الجيش الفاتح كان منهم بقيادة طارق بن زياد،وازدادت هجرتهم إلى هناك، واستمرت هذه الهجرة دون توقف طيلة الحكم الإسلامي بالأندلس، وقد زاد من هجرات البربر أخبار الفتح وخيرات الأندلس وفي ذلك يروي المقري "وتسامع الناس من أهل العدوة بالفتح على طارق وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل وجه وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب، فلحقوا بطارق"، فأراد البربر أن يثبتوا للعرب أنهم ليسوا بأقل شانا منهم، رغم إحساس العرب بالتفوق، فقد اتخذهم العرب موالي لهم، فمن ناحية العرب كان مصلحتهم وبخاصة حكام بني أمية الاستكثار من الأنصار لضمان استمرارية دولتهم والتغلب على منافسيهم ويدل على ذلك ما قام بع عبد الرحمان الداخل، فكون جيشا من حوالي (40 ألف رجل)[6].

تعني كلمة (الموالي) كل من أسلم من غير العرب، فالموالي إما يكونوا في أصلهم أسرى حرب استرقوا ثم اعتقوا، وإما أن يكونوا من أهل البلاد المفتوحة، انضموا حين إسلامهم إلى العرب فصاروا موالي بالحلف والموالاة[7].

وقد ازداد عدد الموالي في الأندلس، حيث أنضم إليهم من كان في الأندلس قبل ذلك من موالي بني أمية، واستطاع عبد الرحمان بن معاوية عن طريق الموالي تأسيس دولة بني أمية في الأندلس بعد ان سقطت بالمشرق على يد العباسيين[8].

ويذكر ابن حيان الدور المهم الذي أداه الموالي في تاريخ الأندلس حيث اعتمد عليهم بنو أمية كثيرا وقلدوهم أهم المناصب في دولتهم، لتفانيهم في الإخلاص لها[9].

---

[6]- مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله تعالى والحروب الواقعة بينهم مطبع ربدنير، مجريط، 1886م، ص: 6، 42.

[7]- ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله الدرويش، دار يعرب، دمشق، 2004م، ص: 90.

[8]- نفسه، ص 90.

[9]- ابن حيان، المصدر السابق، ص 32.

ويعد الصقالبة من أهم الموالي الذين اعتمد عليهم العرب، وقد أطلق اسم الصقالبة في الأندلس على الرقيق المجلوبين من أوربا والمناطق الشمالية، ويعد الأمير الحكم بن هشام، أول من اتخذ منهم حرسا خاصا، فأحضر منهم خمسة ألاف ثم ازدادت أعدادهم في عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر وقد كثر عددهم في عهد المستنصر وابنه هشام ووصل الكثير منهم إلى النفوذ والسلطة[10].

مصطلح (الأندلس) استخدم للدلالة على سكان شبه الجزيرة، ويعد الفتح العربي الإسلامي وفي مرحلة الفتنة البربرية استخدم ليدل على سكان الأندلس كافة بعناصره المختلفة، ويمكن القول أن استخدام هده المصطلحات الخاصة بالأندلسيين والبرابرة جاءت لتعبر عن صراع عنصري، كان من نتائجه إضعاف الطرفين[11].

فبين حياة البربر البسيطة القائمة على تربية المواشي والاستقرار في البوادي والقرى وحياة التحضر التي يعيشها العرب في المدن الأندلسية الكبرى، وتحت سماحة الدين الإسلامي وشموليته التي امتازت بحسن المعاشرة والتعايش، نمت فئة اجتماعية تمثلت في اليهود والنصارى وأهل الذمة عموما ساهمت في تكوين النسيج للمجتمع، فلقد سكن اليهود والنصارى جنبا إلى جنب مع باقي الفئات الاجتماعية الأخرى في معظم المدن الأندلسية، وكانت لهم أحياؤهم الخاصة، وتركت لهم حرية العقيدة وحق مزاولة شعائرهم الدينية، فهذه الحرية التي عاشها أهل الذمة جعلت طموحهم يتنافى بما يتناسب وطبيعة وجودهم ومدى حاجة المجتمع والنظام السياسي، فاشغلوا وامتهنوا التجارة واعتلوا المناسب السياسية[12].

والحضارة يمكن أن تعرف بمفهومها البسيط والشمولي على أنها ذلك الكم المعقد الذي يحمل في طياته الثقافة واللغة والأخلاق والعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهي

---

[10]- إسراء محمد نجيب، المرجع السابق، ص: 25.

[11]- شبلي عمر، الشعوبية في الأندلس في عصر الطوائف إلى نهاية الموحدين (422-646هـ/1031-1248م)، جامعة عيم شمس، 2001، ص: 126.

[12]- مزرعي سمير، المرجع السابق، ص: 30.

بهذا تكون نظاما اجتماعيا متناسقا وحتى يكون المعنى أقوى وأعمق فإن رحلة البحث عن الدولة تبدأ بانتقال المجتمع في خطوة جريئة من الفرد إلى الأسرة ثم القبيلة فالعشيرة ممثلة نفسها في العصبية الكبرى، ليجد الفرد نفسه أمام طائلة الهمجية والقهر والاستبداد، بحيث يمكن أن تفقد وتهضم الحقوق والواجبات، ومن هنا يلعب الجانب السياسي دوره في بناء الدولة، بغرض تنظيم الأفراد وترتيب أولويات الحضارة[13].

أما فيما يتعلق بالطبقات الاجتماعية فقد ظهر التمايز الطبقي واضحا في المجتمع الأندلسي والطبقية لم تقتصر على عنصر معين بحد ذاته في المجتمع الأندلسي، بل نجد أن الفئة ذاتها فيها تفاوت طبقي، وأنه داخل العنصر الواحد ثمة تفاوت في الطبقات الاجتماعية.

كانت تتكون الطبقة الأرستقراطية من مختلف العناصر، فلم تكن محصورة في عنصر بحد ذاته تألفت الأرستقراطية الأندلسية من ملكيتها للأراضي الزراعية لكون المجتمع الأندلسي يعتمد على الزراعة التي تعد مقياس للثروة، والملاكون الكبار بالإضافة إلى كبار التجار والأعيان والأمراء والحكام ورجال الدولة بسبب امتلاكهم للثورة والجاه والنفوذ السياسي، كان العرب معظمهم من أصحاب الطبقة الأرستقراطية، فعندما فتح الأندلس احتفظوا لأنفسهم بالأراضي الخصبة، وقد أدى ذلك إلى ظهور الكراهية وبدايات عنصرية بينهم، وبين العناصر السكانية الأخرى خاصة البربر الذين اعتبروا أن لهم الفضل في فتح الأندلس وبين المولودين الذين يعتبرون أنفسهم أهل البلاد الأصليون وبالتالي هم أحق بخيراتها[14] .

وقد ظهر في العرب في عهد الأمير عبد الرحمان الداخل طبقة عرفت باسم القريشيين، حظيت بمكان رفيعة وامتيازات واسعة داخل الأسرة الأموية التي استقرت بالأندلس، وتعد شريحة الأمراء

[13]- مزرعي سمير، المرجع السابق، ص: 32.

[14]- ابن عذارى أحمد، المصدر السابق، ص 51.

وأقربائهم المروانيين ضمن شرائح الارستقراطية التي حازت على الضياع التي شيدت فيهم قصورهم لذاك تمتعوا بمكانة اجتماعية خاصة.

وعلى الرغم من تمتع العرب بطبقة ارستقراطية ظل قسم من فقرائهم يحترف الفلاحة وخدمة الضياع وعزل الكتان وبيع الحليب[15].

ويأتي الفقهاء في مقدمة الهرم الاجتماعي، وذلك لتشابك مصالحهم مع الأمراء والعسكر الذين كانوا يبحثون عن سند ديني لتدعيم نفوذهم لمواجهة نقمة الطبقات المتذمرة إلا أن هذه المكانة لم تكن ثابتة، فقد تغيرت بتغير الحكام، وهذا ما يفسر سوء أوضاعهم في عهد الأمير الحكم بن هشام والخليفة عبد الناصر، ومما الارتباط الوثيق بين الفقهاء والأمراء، ما أدركه الأمير الحكم بن هشام عندما شارك عدد من الفقهاء في ثورة قرطبة ضده، وعدم تمكنه من السيطرة على ثورة لاحقة على سياسته دون دعم الفقهاء، وتعلم هذا الدرس ابنه عبد الرحمان الثاني الذي تمكن من تأمين دعم الفقهاء لهم مقابل الاعتراف بهم حماة الشريعة[16].

حظي الموالي في عهد بين أمية أيضا بمكانة اجتماعية مهمة، فنجد على سبيل المثال أن عبد الرحمان الداخل قد اتخذ من البربر موالي له، فكان يكثر عليهم العطايا ويبالغ في الإحسان عليهم حيث كانت الفئة الكبيرة المكونة للجيش هم البربر وذلك للحد من العصبية العربية التي كانت ضده[17].

اعتنى الأندلسيون بمواليهم من الصقالبة مما أسهم في تقدم الحالة الاقتصادية والاجتماعية لهم وقد كان للصقالبة دور مهم في هدم الخلافة الأموية، وفي نهاية حكم الخلافة الأموية تعاون البربر مع

---

[15]- ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص: 194-195.

[16]- إسراء محمد نجيب، المرجع السابق، ص: 45.

[17]- مزرعي سمير، المرجع السابق، ص: 38.

الصقالبة ضد بني أمية، وفي نهاية الخلافة وخاصة في عهد المستعين لم يعد البربر يهتمون بالولاء للخلافة الأموية، أما الصقالبة فقد انتقلوا ببعض المدن شرق الأندلس[18].

تعتبر هذه الطبقة أغنى طبقات المجتمع وأكثرها ثراءً، وتتكون من أفراد الأسرة الحاكمة، وكبار الملاكين، وكبار الأغنياء الذين استأثروا بأجود الأراضي وسيطروا على معظمها، وكان أفراد هذه الطبقة يميلون إلى الترف والاسترخاء واللهو، وينغمسون في ملذات الحياة متجاوزين الضروري منها، فبرغم الحياة المريرة التي كان يعيشها أهل الأندلس بجوار الدولة المسيحية، ومواجهتهم إلا أن هذا لم يمنعهم من حب الحياة والتمتع بمناهجها[19].

وقد أشار لسان الدين بن الخطيب في كتابه "الإحاطة" إلى العظمة والتقدم الذين بلغتهما مملكة غرناطة، فأعطاها صورة واضحة، انطبعت مظاهرها على حياة أهلها وطرق معيشتهم في جميع النواحي، وكان الرخاء والثراء محور هذه الحياة التي بلغت في البذخ حدا كبيرا، فذكر أن أهل غرناطة كانوا يميلون إلى الأناقة في اللباس ويكثرون الابتذال فيه[20].

وتجلى ترف الأسرة الحاكمة في كثرة الجواري بقصورهم، والميل إلى حياة اللهو والمجون، ولا ينتهي أن تغفل البناء والعمران الذي شكل مظهرا من مظاهر الترف لهذه الطبقة، فقد تعددت قصورها التي امتازت بجمالها[21].

أما عن الطبقة العامة التي تظم الفلاحين والحرفيين وبعض التجار الصغار، فقد كانت أوضاعهم مزرية مما زاد من شعورهم بالعنصرية، حيث لم تحاول الإدارة الأموية تحسين أوضاعهم، وعندما شهدت الأندلس النصف الأول من القرن الثالث هجري تقدما ملموسا في المجالين الاجتماعي

---

[18]- إسراء محمد نجيب، المرجع السابق، ص: 49.

[19]- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1، دار صادر، بيروت، 1968م، ص: 190.

[20]- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2009م، ص: 135.

[21]- ابن خلدون، المقدمة، ص: 208.

والاقتصادي لم ينعكس ذلك إيجابا على أوضاعهم، لذلك نجدهم قد شاركوا في الثورات التي عمت الأندلس[22].

كانت الظروف السياسية لها الدور الكبير في صياغة ملامح المجتمع الأندلسي والذي تميزت طبقاته بعدم الثبات لارتباطها الشديد بوسائل الإنتاج وما يوفره اقتصاد البلاد كما خضعت كثيرا لأهواء الأمراء الذين يرفعون أقواما وينزلون آخرين إما بالنكبة أو المصادرة، إضافة إلى التقلبات السياسية وما ينجر عنها من محن ومتاعب[23].

باعتبار المجتمع محور الحدث فإنه اكتوى بنار الفتنة ويظهر ذلك من خلال ما نقلته المصادر التي أجمعت على أن المجتمع الأندلسي دفع ثمنا باهظا خلال الفتنة، حيث تعرض الناس إلى المحن وأول ضحاياهم البربر كما أفرزت الفتنة التي شهدها المجتمع الأندلسي بداية من 399هـ/1008م موجات بشرية كثيرة نازحة من البوادي نحو المدن بسبب القحط وتضرر مواردها الاقتصادية جراء النهب فانتشرت ظواهر خطيرة كقلة الغذاء وغلاء الأسعار، مما أدى إلى مجاعات حدثت بشكل فضيع خاصة حين أحرقت أسواق كثيرة كانت الممول الرئيسي لحاجياتها[24].

كان المجتمع البسيط والمقصود به عامة المجتمع يعيش بين قوتين ضاغطتين، فأينما وجه نظره وجد نفسه أمام الثروة المادية والقوة المالية التي تتمتع بها الطبقات الأرستقراطية والأسر الحاكمة من جهة، وإذا نظر إلى حاله الميسور من جهة أخرى انكشف على حقيقة النظام الإقطاعي التي تخلقه طبقة ملاك الأراضي الكبار نتيجة استحواذهم على أكبر الأراضي والقطاعات الزراعية، مع ذلك فإن الفرد البسيط هو في الحقيقة من كون تلك الثورة وذلك النظام الإقطاعي باستسلامه للغة الحاضر

---

[22]- إسراء محمد نجيب، المرجع السابق، ص: 52.

[23]- سامية جباري، الأزمة الأخلاقية في المجتمع الأندلسي، àرسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية)، 2007، جامعة الجزائر، ص: 34.

[24]- خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، (رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي)، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص: 26.

ونظام العمل المجحف في حقه. ومع ذلك يتحمل المزيد من الرسوم المادية كالضرائب وغيرها التي ألقت بظلالها عليه لتدخله في قاع التردي والانحطاط، فالفئات الاجتماعية باختلاف أطيافها لم تكن تنعم بما تجود عليهم به أرض الأندلس من رخاء اقتصادي، بل كانوا مجرد رعية في أرض السيد الحاكم أو مالك الأرض[25].

فالسلطة في حقيقة الأمر ولكي لا يقال عنها أنها من احترفت اللصوصية والإجرام وفي كثير من الحالات تبرز تصرفاتها المتسلطة تجاه الفرد والمجتمع بغاية تأسيس الدولة أو الحفاظ على أمنها وسلامتها وهذا الإخضاع يقع على الأفراد من عامة المجتمع، ففتنة 399هـ/1008م الغاية منها خلق قطيعة اجتماعية وسياسية وذلك أن العامة في المجتمع الأندلسي أصبحوا يعارضون فكرة الصلح والوحدة الاجتماعية تزامنا مع المتغيرات التي عاشها المجتمع الأندلسي[26].

لم يكن المجتمع الأندلسي خلال القرن 5هـ/11م ليجد طريقا أمامه سوى طريق التصدع وتشكيل الدويلات الطائفية أمام ما أصابه من فتن داخلية ونكبات، إن معظم هذه الفئات الاجتماعية ساهمت بطريقة أو بأخرى في انقسام الأندلس وجعلت من كل مقاطعة أو مدينة عاصمة لدولة مستقلة، ثم إن غياب عامل الأمن والاستقرار وإحساسهم الدائم بذلك التفاوت الطبقي في توزيع الثروة يدفعهم دفعا إلى الالتفاف حول أي نظام سياسي يحقق لهم مطالبهم المادية ويحسن من مستويات عيشهم ويؤمن لهم الأمن الداخلي والخارجي، إذ أن إصابة النظام الاقتصادي والاجتماعي بظواهر سلبية تخلق معه انحرافات اجتماعية كاللصوصية والسرقة والتسول والسيطرة على الأملاك العامة والخاصة والأوقاف وغيرها[27].

ارتبطت الأحوال المعيشية في عصر الطوائف بالظروف السياسية السائدة لأن جو الفتن والاضطرابات والقلاقل يترك أثره على جانب المعيشة والرزق، فمثلا سوء الأحوال انعكس على

---

[25]- مزرعي سمير، المرجع السابق، ص: 42.

[26]- المرجع نفسه، ص: 45.

[27]- نفسه، ص، ص: 48-129.

الأوضاع الاجتماعية، وبالتالي على أحوال المعيشة فكثرة الضرائب التي فرضتها الملوك والأمراء على الرغبة لسد نفقات الإتاوات التي كانت تدفع للأدفوش، وكانت طبقة الفلاحين أشد الناس تأثرا من سوء هذه الأحوال، فقد خلقت الحروب الداخلية بين ملوك الطوائف والخارجية مع النصارى أثار سيئة على المزارع من خراب وحرق للبساتين إلى جانب القحط الذي كان يصيب البلاد مما أدى إلى مجاعات قاسية[28].

ظلت الأوضاع بين الازدهار عند هدوء الأحوال السياسية والاضمحلال عند نشوء الاضطرابات والحروب، وقد تركت هذه الأحوال أثرها على الجانب الخلقي، سواء في حالة الفقر والحاجة أو في حالة الغش والكفاية، ولا يخفى أنه الفقر الشديد ولا الغنى الفاحش يخدم الجانب الأخلاقي لما في الحالتين من خروج عن الوسطية التي تؤدي إلى الاستقرار الأخلاقي، فالفقر المدقع قد إلى السرقة والقتل، والغنى الفاحش قد تؤدي إلى تبذير الأموال في الترف والمجون[29].

فلم يكن الفقر ولا الغنى ليحس به الجميع إذا ما تساووا فيه لوعمت صفة العدالة والمساواة[30].

فالبناء الطبقي ومعايير التصنيف الاجتماعي للمجتمع الأندلسي لم يرتبط في واقع الأمر بالجوانب المادية والمكانة الاجتماعية التي قد تفرضها طبيعة المناصب السياسية أو العملية، وإنما تداخلت قوانين اجتماع الثورة بمعيار الانتماء العرقي والاجتماعي.

تكونت أغلبية المجتمع الأندلسي من الطبقة الفقيرة والفلاحون والصناع والحرفيون، فهؤلاء لم تكن غاياتهم سوى إشباع بطونهم وسد رمقهم بما يقتاتون عليه غير أن أثرهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لم يذكر أو يكاد أن يكون مع أنهم يتحملون أعباء إنتاج الثروة وتعسف المالكين

---

[28]- يوسف شحدة الكحلوت، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، الجامعة الإسلامية، غزة، ص: 53.

[29]- المرجع نفسه، ص: 55.

[30]- مزرعي سمير، المرجع السابق، ص: 130.

ويتقاسمون فيما بينهم مشاكل الاضطرابات الداخلية الناجمة عن الحروب أو الكوارث الطبيعية كالقحط والمجاعة[31].

فالمجتمع الطائفي خلق نوعا جديدا من اللاعدالة، إذ لا تتساوى فيه جميع طبقاته في كيفية الكسب وطريقة العيش، وبالمقارنة مع كانت تحصله الطبقة العامة من مداخيل، يمكن إلقاء الضوء على الجانب الآخر من المجتمع الذي ينعم بالمال والرفاهية وهي الطبقة الارستقراطية فكانت تختلف اختلافا شاسعا مع ما كانت تعانيه الشريحة العامة من المجتمع[32].

أصبح الوجود الاجتماعي مجرد تجمع لا غير، تتحقق فيه مصلحة الطبقات العليا وغاياتها دون سواها، ويبقى المجتمع مجرد أداة فقدت وظيفتها وأحقيتها كعنصر أساسي لقيام الدولة، فكتب الحسبة قد تعمقت بشكل ملفت للانتباه في تصوير الوقائع الاجتماعية وعكست جوانب قاتمة من حياة البؤس التي بدأت تنموا بتزايد أطماع الطبقة الأرستقراطية وتزايد همجية التفاوت المنبثق أساسا من تجريد فئات المجتمع من ممتلكاتها بطرق تبدوا مشروعية كما كانت الجناية تأخذ طابعا أخر ويمارسها شخص تلقبه كتب الحسبة 'بالمتقبل' إذ أنه يبالغ في فرض المكوس المفروضة على سلع التجار والفلاحين والحرفين.

لقد استساغت أذهان العامة هذه التشريعات المادية التي كانت تثقل كاهلهم وتؤرقهم رغم تعارضها مع مصالحهم الشخصية وزيادة بؤسهم وشقائهم يوما بعد يوم، لكن السلطة لم تكن لتواجههم بأسلوب مباشر في غصب ممتلكاتهم واقتطاع رسوم من أموالهم، بل استحدث تلك الأساليب تحت مسميات تضامنية تتم عن الانتماء والمشاركة الاجتماعية، وكان نظام السيطرة ذلك في أنجح حالاته إذا ما ربط بين مجموعة من الأفراد برباط العبودية والخضوع، فأصبح واجب تأدية الضرائب والجزية والخرج كناية عن الولاء للدولة[33].

---

[31]-المرجع نفسه، ص: 137.

[32]- مزرعي سمير، المرجع السابق ، ص – ص: 139-142.

[33]- المرجعنفسه، ص، ص: 144-145.

ولم يخلو المجتمع الأندلسي من عوامل الضعف ومكونات الفساد، فقد كان كثير منهم يميل إلى الصرف والإسراف واللهو والغناء. وابن خلدون يلح على ضرورة التمسك بالأخلاق في البناء الاجتماعي[34].

وكذلك وجدت في المجتمع الأندلسي ظاهرة السرقة التي كانت من نتائج تردي الوضع الاجتماعي، حيث كانت منتشرة في البادية والمدينة، وأهم ما يميز السارق في الأندلس حركته ودهائه.هذه بعض مظاهر الفساد التي كانت منتشرة في المجتمع الأندلسي والتي بينت مدى تفشي التعفن الاجتماعي والأخلاقي والذي كان ناتجا عن الإفرازات للنظام السياسي[35].

فالجشع والطمع والخيانة والسرقة هي رذائل تخلقها سلطة العنف التي تمثلها الطبقات الارستقراطية بشقيها الروحي والسياسي، وتلك الرذائل والمفاسد الأخلاقية نراها تنمو شيئا فشيئا حتى تغدوا ظاهرة اجتماعية متفشية بين أفراد المجتمع الواحد نتيجة القابلية التي تتملك عقل الفرد الفاسد أو لنقل الذي يرى في الفساد الأخلاقي وسيلة وغاية يتعايش بها مع تيار الحياة الجارف الذي تكرسه بيئة اجتماعية[36].

فالمجتمع الأندلسي لم يكن يدرك أن الثراء الفاحش وحياة اللهو والبذخ ستقوده إلى ولوج حياة قوامها التكلف والتصنع على حساب مجموعة من التقاليد والعادات[37].

فما حصل في الأندلس سنة 403هـ/1012م من قحط ومسغبة عامة ووباء كبير والمجاعة التي اجتاحت مدينة طليطلة سنة478هـ/1085م نتيجة عزوها من قبل ألفونسو السادس وما انجز عنه

---

[34]- ابن خلدون، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، ص: 199.

[35]- المقري، المصدر السابق، ص: 126.

[36]- مزرعي سمير، المصدر السابق، ص – ص: 146-148.

[37]- المرجع نفسه، ص – ص: 148-155.

من الفساد وشملها من جائحة القحط والجراد قد يجعلنا ندرك مدى تأثير الظواهر الطبيعية والعوامل في خلق الحوافز لتشجيع الهجرة والإجلاء[38].

فتغير النظام الغذائي يعني بصورة مطلقة تغير مطلقة تغير النظام الاجتماعي بشكل كلي فخلال القرن 5هـ/11م اجتاحت المجاعات أرض الأندلس، ففي قرطبة اشتد بها الجوع وعدمت المأكل ومات أكثر أهل القرى والبوادي جوعا، وإن المجتمع في ظل هذه التحديات قد قام بوثبة جريئة نحو تغيير نظامه الاجتماعي مع تعدد مصادر قوته وتغير نظامه الغذائي، فتدهور الوضع وزاد من تعميق هوة التمزق، كلها أوضاع عاشها المجتمع الأندلسي، فالعوامل السياسية والاقتصادية أو الاجتماعية لعبت دورها وساهمت بشكل أو بأخر في تغيير المجتمع الأندلسي وبهذا يمكن القول أن المصالح طغت على المبادئ[39].

[38]- نفسه، ص، ص: 206، 207.

[39]- خميسي بولعراس، مرجع سابق، ص – ص: 28-30.

الفصل الأول:

الكدية بين المفهوم والنشأة والحكم

المبحث الأول: مفهوم الكدية.

المبحث الثاني: ظهور الكدية وأسباب انتشارها.

المبحث الثالث: الكدية والاحتيال.

المبحث الرابع: حكم التسول في الفقه الإسلامي.

مفهوم الكدية:

1- لغة:

جاء في معجم ابن فارس: الكاف والدال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على صلابة في شيء، ثم يقاس عليه.

فالكدية: صلابة تكون في الأرض، يقال: حفر فأكدى، إذا وصل إلى الكدية. ثم يقال رجل إذاأعطى يسيرا ثم قطع: اكدى، شبه بالحافر يحفر فيكدي فيمسك عن الحفر . قال تعالى { وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ}[1]

والكداية، هي الكدية. ويقال، أرض كادية، أي بطيئة،وهو من هذا

وربما همز هذا فيكون من الباب الذي يهمز وليس أصله الهمز وقال الفراء: كدي الكلب كدى إذا شرب اللبن ففسد جوفه .

ويقال أكديته أكديه إكداءا، إذا رددته عن الشيء، والقياس في جميع ما ذكرناه واحد. وكداء: مكان، ولعله لن يكون من الكدية.[2]

وجاء في لسان العرب: كدا: كدت الأرض تكدو كدوا، فهي كادية إذا أبطأ نباتها . الكادي: البطيء الخير من الماء، وكدى الزرع وغيره من النبات، ساءت نبتته. وكداه البرد: رده في الأرض. وكدوت وجه الرجل أكدوه كدوا إذا خدشته . والكدية والكادية الشدة من الدهر. والكدية:صلابة تكون في الارض . وأصاب الزرع برد فكداه أي رده في الأرض ويقال أيضا: أصابتهم كدية وكادية من البرد، والكدية كل ما جمع من طعام او تراب او نحوه فجعل كتبة وهي الكداية والكداة أيضا، ويقال: لا يكديك سؤالي أي لا يلح عليك وقوله: فلا نحن نكديها أي فلا نحن نلح عليها.

---

[1]- سورة النجم. الآية:34.

[2]-أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، د ط، د ت، ج5، ص110.

قال الفراء: أكدى أمسك من العطية.

وقال الزجاج: معنى أكدى قطع، وأصله من الحفر في البئر.

كما قال **ابن الأعرابي**: أكدى افتقر بعد غنى، وأكدى المعدن لم يتكون فيه جوهر، وبلغ الناس كدية فلان إذ أعطى ثم منع وأمسك.[1]

وجاء في **الصحاح**: كدى، الكدية: الأرض الصلبة، وأكدى الحافر، إذا بلغ الكدية فلا يمكن أن يحفر. وحفر فأكدى، إذا بلغ إلى الصلب بالكسر يكدي كدى، وهو داء يأخذ الجراء خاصة، يصيبها منه قيء وسعال حتى يكوى بين عينيها. وكديت أصابعه أيضا، أي كدت من الحفر، وكدي الفصيل كدى، إذا شرب اللبن ففسد جوفه، وأكديت الرجل عن الشيء: رددته عنه، وأكدى الرجل، إذا قل خيره.[2]

2-اصطلاحا:

مصطلح الكدية ورد في كثير من النصوص الأدبية. من حكايات وأحاديث. وأخبار حول مضامين التسول والتحايل، ومراوغة الكسب.

والكدية تتقارب من حيث العرف والاصطلاح مع اللصوصية، لأن التكدية ليست مجرد السؤال والاستجداء كما يفيد معناها اللغوي، وإنما أخذت اصطلاحيات متعددة الوجوه كثيرة الدلالات، وأصبحت تتضمن معنى الاحتيال من أجل المال بمختلف الوسائل والأساليب غير المشروعة كاستخدام القوة، والاستلاب بالعنف والغلبة، إلى استغلال غفلة الجمهور وغرائز الرحمة والرقة.[3]

1-جمال الدين محمد بن منظور أبو الفضل، لسان العرب، المطبعة الميرية ببولاق، مصر، ط1، 1307هـ، ج20، ص79-80.

2-الإمام الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، د ط، د ت، ج6، ص 2472

3- سيف الدين سعيد المحروقي، نماذج إنسانية في السرد العربي القديم، دار الكتب الوطنية، ط1، 1431هـ/ 2010م، ص99-100.

فالمكدون: فئة احترفت سؤال الناس والاستجداء في الظاهر، ولكنها استخدمت في ذلك وسائلا من الاحتيال والتلون، والأساليب غير مشروعة، لجمع المال وتحصيله، معتمدة على سذاجة الجمهور وغفلتهم، لتحقيق مآربهم الشخصية وغاياتهم الذاتية.

ويذهب الدكتور: "نجاح كبة هادي" في تعريفه الاصطلاحي لأدب الكدية: إن لفظ الكدية يطلق في تاريخ الأدب العربي القديم على الأدب الذي يصور ما اضطر إليه بعض الشعراء والأدباء من الطواف في البلاد، واستجداء الناس، وما يبتكر بعضهم من حيل في سبيل ذلك وهو شعر حافل بمصطلحات الكدية.[1]

3-الكدية في التراث العربي القديم:

الكدية ظاهرة اجتماعية خطيرة، وأثر من آثار الفقر الاجتماعي، وهي صعبة على النفس في الحس العربي، مرة المذاق.

يقول الأحنف الكعبري:

أقصى علمي من الأجل عذل العذول إذا عذل

وأشد من عذل العذو ل صدود إلف قد وصل

وأشد من هذا وذا طلب النوال من السفل

وقال "سعيد بن العاص" يصف حال السائل: قلبه خائف، وفرائضه ترتعد، وجيشه يرشح.

وقال "علي بن أبي طالب رضي الله عنه" لأصحابه: "من كان منكم في حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة.[2]

من خلال ما سبق نستنتج: أن الكدية امتهان طلب المال من الناس بأي وسيلة كانت دون مسوغ شرعي.

1- كبة نجاح هادي، في أدب الكدية، العصر العباسي نموذجا، مجلة أرشيف الثقافة الجديدة، العدد 367، تموز 2014.

2- المحروقي، مرجع سابق، ص101-102.

4-ألفاظ ذات صلة ومفهومها في اللغة:

السؤال: ما يسأله الإنسان، وقرئ: { قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ } [1] (وسأله) الشيء وسأله عن الشيء (سؤالا) و (مسألة).[2]

التسول: التسول والتسون بمعنى واحد. قال ابن الأعرابي: "هو استرخاء البطن"

قال الأزهري: كأنه ذهب به إلى التسول من سول يسول فأبدل.[3]

الصعلكة: صعلك، الصعلوك: الفقير الذي لا مال له، وزاد الأزهري، ولا اعتماد. وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك.

وتصعلكت الإبل: خرجت من أوبارها وانجردت وطرحتها، ورجل مصعلك الرأس مدوره. ورجل مصعلك الرأس صغيره.[4]

الشحاذة: من الفعل شحذ والشحذ كالمنع، وهو الإلحاح في السؤال، لذا يقال شحاذ ملح وشحذته، أي ألححت عليه في المسألة.[5]

الاستجداء: العطية وجداه واجتداه واستجداه، أي طلب جدواه، وأجداه أعطاه الجدوى، والاستجداء.[6]

من خلال التعريفات السالفة الذكر، نستنتج أن هذه المصطلحات تشترك في السؤال وتختلف في طرقه وأسبابه.

---

[1]- سورة طه. الآية: 36.

2-محمد بن بكر الرازي، مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1995م، ج1، ص119.

3-محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتاح الحلو، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دط، 1418هـ/ 1991م، ج35، ص 246، مادة (سون).

4-ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، 1419هـ/ 1999م، ج10، ص456.

5-محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995، ص427.

6-محمد بن بكر الرازي، مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، د ط، 1995م، ج1، ص119.

المبحث الثاني: ظهور الكدية وأسباب انتشارها

الكدية ظاهرة اجتماعية منتشرة بكثرة بين المجتمعات الأندلسية، فلا تكاد تخلو أمة من هذه الظاهرة، وقد بدأت في حدود ضيقة في القرن 6هـ (12م)، ثم توسعت بسرعة فائقة نتيجة التحولات الاقتصادية التي شهدها المجتمع المغربي الأندلسي.

تعرضت فئة المكدين إلى إهمال كبير، سواء في بلاد الأندلس أو عند الأدباء، وخير دليل على ذلك أن الأدباء كالجاحظ مثلا لم يعتبر الكدية كظاهرة اجتماعية أو مظهر من مظاهر الفاقة والحرمان، بل هي عنده: "وسيلة لخلق شخصية فنية لها نزعاتها عاشت في أدب هذا العصر ثم قويت وتميزت عناصر تكوينها في أدب العصور التالية، لاسيما في أدب المقامة."[1]

فظل المتسولون يمثلون شريحة لم يكن لها أي دور في عملية الإنتاج، ليس هذا فحسب، بل شكلت عبئا ثقيلا على الدولتين المرابطية والموحدية.[2] إذ كان المجتمع الأموي مجتمعا طبقيا، طبقة الحكام والتي تمثل الثراء الفاحش، وطبقة الفقراء التي تمثل سواد الشعب[3]، لانتمائها إلى أصول اجتماعية فقيرة نشأت عن التحولات التي عرفها المجتمع المغربي الأندلسي.[4]وكانت هاته الأخيرة تحارب فقرها بشتى الطرق، "فمنهم من اكتفى بالشكوى يبثها، ومنهم من سلك مسلك أجداده من صعاليك العصر الجاهلي، فتكونت فئة من صعاليك الفقراء راحوا يقطعون الطرق وينهبون ويسلبون ليحصلوا على لقمة العيش.."[5]

كما كان المتسولون في بلاد الأندلس يتجولون في الطرقات وينشدون مقاطعا من الأغاني الشعبية ليثيروا إعجاب المارة وينالون عطفهم.[6] وقد ورد أن عددهم ظل ضئيلا بالأندلس بحكم

1- خالدة عزايزة، عناصر مشتركة في أدب الطفيليين والمكدين والبخلاء، جامعة، عدد7، ص80.

2-إبراهيم القادري، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، ط1، 1995، ص172.

3- عبد الهادي حرب، موسوعة أدب المحتالين، دار التكوين، دمشق، د ط، 2008، ص58.

4- الإسلام السري، المرجع السابق، ص72.

5- موسوعة أدب المحتالين، المرجع السابق، ص58.

6-آنجيل جانثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، د ط، د ت، ص160.

أن عادة الأندلسيين كانوا إذا رأوا شخصا قادرا على الخدمة أهانوه. يذكر المقري ذلك قائلا: "أما طريقة الفقراء... التي تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى نهاية وإذا رأوا شخصا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه، فضلا على أن لا يتصدقوا عليه، فلا تجد بالأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر."[1]

لكن الواقع أثبت عكس ذلك، وهذا ما لفت انتباه ابن عبدون في رسالته الحسبة، ومن خلال ما ورد فيها تمكن من الوقوف على أماكن اجتماع المتسولين، وفي مقدمتها المساجد والجوامع والأسواق، فلاحظ أنهم كانوا يستغلون فرصة يوم الجمعة للحصول على عطف المصلين، لذلك طلب من القائمين بشؤون المساجد والمؤذنين "لا يترك ساع في رحاب الجامع".[2]

ولم تقتصر ظاهرة التسول على الرجال فحسب، بل تعدى ذلك إلى انتشارها بين النساء. فقد ورد في ترجمة أبي إسحاق الأندلسي أنه اشترى من مريديه طعاما للعشاء فإذا بمتسولة تشكوا ما ألم بأبنائها من جوع فآثر بالطعام المذكور.[3]

أسباب انتشار الكدية:

انتشرت الكدية في المجتمع الأندلسي لعدة أسباب، منها ما هو حقيقي ومنها ما هو زائف. وهي كالتالي:

1-المقري، مصدر سابق، ج1، ص220.

ابن عبدون، رسالة في الحسبة، نشرها ضمن كتاب "ثلاث رسائل في الحسبة"، تح: ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955، 2ص24.

3- أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي وعرف بالمزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب، الرباط، ط2، 1997، ص310.

1- الفقر والحاجة: الفقر مشكلة اجتماعية واقتصادية في آن واحد، ويعد السبب الرئيسي في انتشار ظاهرة الكدية، إذ يسعى الفقير إلى التسول لسد حاجياته الضرورية.[1] ويثبت الفقر والحاجة كعامل مؤثر في ممارسة التسول الأثر المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أنه حرج يوما، فإذا بشيخ ضرير يسأل الناس على الأبواب فسأله: ما ألجأك إلى ما ترى؟" قال: "الجزية والحاجة، والسن."[2]

لهذا لا يمكن بحال من الأحوال لأي تحليل لظاهرة التسول أن يتجاهل ما بينها وبين الفقر من علاقة تاريخية وثيقة.[3]

"كما أن الابتعاد عن المنهج النبوي، والابتعاد عن أحكام الشريعة، يساهم في انتشار الفقر وانعكاساته السلبية"[4]. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (..وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر..)[5].

"ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف شدة الفقر وتأثيره، فإنه كان يستعيذ منه، وقد قرنه بالكفر وهذا دبر كل صلاة."[6]

2- البطالة: تعد البطالة سببا، لأنها من مظاهر سوء الأوضاع الاقتصادية. قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "إذا جلس الرجل ولم يحترف دعته نفسه إلى أن يأخذ ما في أيدي

1- مها كريم المور، الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمتسولين في الأردن، (رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية)، 2002م، ص78.

2- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1399هـ/ 1979م، ص126.

3-إسماعيل قيرة، أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د ط، 2006م، ص20.

مسعودة حميدي، احتراف التسول وآليات مكافحته بين الشريعة والقانون الجزائري، (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في 4العلوم الإسلامية)، تخصص شريعة وقانون، 1436هـ – 1437هـ/ 2015م – 2016م.-

5-نور الدين بن علي بن أبي بكر الهيثمي، معجم الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، د ط، 1414هـ/ 1994م، ج3، ص63.

6-الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، 1418هـ/ 1998م، ج1، ص196، كتاب الإيمان، باب التعوذ من الكفر والفقر وعذاب القبر، رقم 106. وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

الناس."[1]، وقد أمر الإسلام بالعمل مهما كان نوعه. لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه.)[2]

3- عدم القدرة على الكسب: ونعني بذلك الإنسان الفقير العاجز عن تحصيل قوته اليومي، وتلبية حاجياته الضرورية، لعاهة أو مرض... وليس له مصدر رزق. ولقد جوز العلماء التسول لهذه الفئة. لقول النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين الذين سألاه: (إن شئتما أعطيتكما منه، ولا حق فيها لغني ولا قوي مكتسب).[3]

4- المشاكل الأسرية الاجتماعية: تعد من أسباب انتشار ظاهرة التسول، فالمشاكل العائلية وما ينتج عنها من تفكك أسري وتشرد للأطفال، يدفع إلى ممارسة هذه الظاهرة.[4]

5- السن والجنس: صغر السن أو كبره يعد من أسباب انتشار هذه الظاهرة، لما يورثه من ضعف لدى الصغار ووهن عند الكبار. روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أنه خرج يوما، فإذا بشيخ ضرير يسأل الناس على الأبواب فسأله: ما ألجأك إلى ما ترى؟ قال: الجزية، والحاجة، والسن".[5] فيسعى للحصول على لقمة عيشه بأبسط الطرق، وأولها التسول، وكذلك الحال عند جنس المتسول، فالمرأة أكثر ممارسة للتسول من الرجل نتيجة ضعفها، وخاصة ذات الأولاد التي لا تجد من يكفلهم.

1-الحث على التجارة والصناعة والعمل، مرجع سابق، ص161.

2-محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح: مصطفى البغا، دار ابن كثير، 1407هـ/ 1978م، ط3، ج2، ص535، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم1401.

3-أبو داود، سنن أبي داود، ج1، ص513، كتاب الزكاة، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، رقم1633.

4-الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمتسولين في الأردن، مرجع سابق، ص78.

5_الخراج، مرجع سابق، ص 126.

6- عمالة الأطفال واستغلالهم: تكليف الأطفال الأعمال الشاقة بسبب الفقر والحاجة، بهم إلى الانحراف الذي يوفرون به المال دون عناء كبير مثل التسول.[1]

"ولا يكلف الصغير بالكسب ولو بعد البلوغ إن لم تكن صنعة يتعلمها، وإلا كسب بالسرقة أو الحرام من وجه غيرها."[2]

7- الاستكثار:يسعى المتسول في هذه الحالة إلى سؤال الناس من أجل تكثير المال وليس من أجل الحاجة، وقد أشار الشرع إلى هذا السبب وحذر منه وخص أصحابه بالوعيد، من خلال قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من يسأل الناس أموالهم تكثرا، فإنما يسأل جمرا).[3]

8- امتهان فئة معينة من أبناء المجتمع هذه الحرفة وجعل التسول مهنة:

هناك فئة من المجتمع جعلت التسول مهنة عيشهم، يعلمون عليها أطفالهم منذ الصغر ويورثونها لأجيالهم.[4] فالوالدين دورهما توجيه الفرد إلى الخير أو الشر، بعد أن خلق على الفطرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصراه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل فيها من جدعاء.)[5]

وهذا لسهولته، لأن المتسول لا يبذل جهدا وفي المقابل يحصل على المال.

المبحث الثالث: الكدية والاحتيال

يعد التكسب من أهم الأهداف التي يسعى إليها المكدون، فكان المال الهدف الرئيس الذي يسعون إلى جمعه، وقد اهتم كبار المؤلفين العرب بهذه الظاهرة، باعتبارها تخص طبقة مهمشة من الشعب.

1-احتراف التسول وآليات مكافحته بين الشريعة والقانون الجزائري، مذكرة، مرجع سابق، ص 49.

2-الحث على التجارة والصناعة والعمل، مرجع سابق، ص 60.

3- مسلم، صحيح مسلم، ج2، ص720، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم1041.

4-الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمتسولين في الأردن، مرجع سابق، ص78.

5-صحيح البخاري، مرجع سابق، ج1، ص424، كتاب الجنائز، باب ماقيل في أولاد المشركين، رقم 1358.

ومن بين من اهتم بهذه الظاهرة الجاحظ في كتابه البخلاء، حيث اهتم بالكدية والمكدين بأسمائهم وصفاتهم وأخبارهم وطرق احتيالهم.[1]

فكان المكدين يتنكرون ويخوضون المغامرات بالاحتيال، حيث تعتبر هذه الصفات ملازمة للمكدي في المقامات العربية والعبرية.[2]

وظهرت هذه الكدية بسرعة عند الهمذاني، فيعتبر أول من أدخلها إلى المقامات، وأكثر من استخدم الكدية وذكر طرق احتال المكدين، حيث يظهر مكدي الهمذاني بصحبة ابنه في يوم شديد البرودة ويستجديان الناس في المسجد.ثم عند الحريري إذ تظهر شخصية المكدي في صورة إمرأة عجوز برفقة أولادها تشكو المرض وتقلب الدهر وتحصل على العطايا من الناس. أما في الغرب فكان ظهورها بصفة أقل، ففي مقامات السرقسطي يقف فتى بين المصلين ويعضهم ويحثه على التزود بالأعمال الصالحة، شكيا سوء حاله وفقره.[3]

وذكر السرقسطي أساليب أخرى مبتكرة ومختلفة للمكدي، فصور ذلك في مقامة الحمامة، حيث يستجدي الناس ويستعطفهم على حمامته، طالبا منهم عتقها من مصيدة الصياد، وذلك بإعطائه المال.

كما تضمنت مقاماته أهم مشكلة يعاني منها أهل البادية، التداوي عند العرافين، حيث ذكر الشيخ السدوسي الذي كان يعالج بالعرافة والاحتيال.[4]

فعنصر الكدية في مقامات السرقسطي ظاهر دون تكلف، وهذه من براعات السرقسطي الفنية.[5]

1-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، دار الحكايات للطباعات والنشر والتوزيع،ط1، 2003م، ص46.

2-عناصر مشتركة في أدب الطفيليين والمكدين والبخلاء، مرجع سابق، ص95.

3-هيثم محمود إبراهيم أحمد، الاحتيال في مقامات الحريزي العبرية مصادره وأشكاله وأهدافه – دراسة نقدية –، (رسالة ماجستير في الأدب)، قنا، 2011م، ص125.

4-باسل الطائي، سفانة الصافي، دنيا الوطن (تطور المقامات في الأدب الأندلسي السرقسطي أنموذجا)، ص9.

5-نفسه، ص8.

أما عند الحريزي ظهرت الكدية بشكل صريح، بحيث سمى مقامة باسم "مقامة المكدي وابنه"، ففي هذه المقامة يقوم المكدي باستجداء الناس في دار العبادة يخطب فيهم، ويذكرهم بأن الدهر قد يغير حالهم من الأحسن إلى الأسوأ كما فعه معه.

فقد اعتمد الحريزي في هذه المقامة من خلال عرضه لقصة المكدي على المصدر العربي بشكل واضح، وأخذ فكرة طلب الإحسان من المصلين من مؤلفي المقامات العربية بأسلوب يهودي، حيث غير مكان الحدث وهو المسجد في المقامة العربية ببيت الصلاة أو المعبد اليهودي، كي يلائم القارئ اليهودي.

ومن حيل المكدين أيضا منهم الذين يتخبطون في الأسواق، ويوهمون الناس أنه صرع، وكذلك أصحاب الأورام والقرح البشعة، ومن يتعلق مصرانه من جنبه، والذي يصيع بوجه الحصا، والذي يظهر أنه مقعد، والذين يقرحون أيديهم ويوهمون الناس أن ذلك كله بلاء نزل بهم، وهم يكذبون، وذلك كله منهم حيلة لأخذ أموال الناس بالباطل.[1]

فالكدية عند أهلها هي كل ما يحتال به على الشر والأذى في سبيل العيش من الشعوذة والمخرقة وما إليهما، ولهم فيها رموزا لا يفهما غيرهم، وأهلها أصحاب بأس وشدة وفساد كبير.[2]

وفي الأخير نستطيع القول بأن المكدين قوم احترفوا السؤال والاستجداء في الظاهر، يتجولون في مختلف الأماكن يكسبون بالأدب تارة ويحتالون تارة أخرى على الناس بحيل ملفقة وأكاذيب مخترعة، معتمدين على سذاجة الجمهور وغفلته في تحقيق غاياتهم الذاتية.

المبحث الرابع: حكم التسول في الفقه الإسلامي

1- ابن عبد الرؤوف، رسالة في الحسبة والمحتسب، منشورة في ثلاث رسائل ضمن آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفيسنال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،د ط، 1955، ص 113.

2-عبد الملك الثعالبي النيسابوري أبو منصور، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ/ 1983م، مج2، ص285.

يختلف حكم السؤال باختلاف الأحوال، وتجري عليه جميع الأحكام التكليفية، فقد يكون محرما، أو مباحا، أو مكروها، أو واجبا أو مندوبا.

1- فيكون السؤال محرما: إذا كان لغير حاجة، كمن سأل وهو غني، أو أظهر الفقر والفاقة فوق ما هو به، أو لمن فيه طاقة وقدرة على السعي والاكتساب.[1]

وهو قول جمهور الفقهاء رحمهم الله، وعليه نستطيع القول أن الأصل في التسول التحريم إلا إذا كان لضرورة، ودليل ذلك قوله تعالى: { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا... }[2]

وجه الدلالة في الآية: أن الله عز وجل أثنى على أولئك الفقراء الذين رغم حاجتهم وفقرهم، إلا أنهم يمتنعون عن السؤال، ووصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف، وأنهم كانوا يعرفون بسيماهم، فلو كانت المسألة من شأنهم لم تكن صفتهم التعفف.[3]

قال ابن عبد البر رحمه الله: "مع إجماعهم على أن السؤال لا يحل لغني معروف بالغنى".[4]

وقال ابن حزم رحمه الله: "واتفقوا على أن المسألة حرام على كي قوي على الكسب أو غني...".[5]

روي عن عبد الله بن عمر أنه سمع أباه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم).[1]

1-أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، د ط، 1401هـ/ 1981م، ج11، ص205.

2- سورة البقرة: الآية 273 .

3-محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2002، ج3، ص96.

4- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، فتح المالك بتبويب التمهيد لابن عبد البر على موطأ الإمام مالك، تح: مصطفى صميدة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، مج10، ص552

5-المعيار المعرب، مرجع سابق، ج11، ص205.

وجه الدلالة في الحديث: جاء في شرح الحديث أن السائل يوم القيامة يأتي ذليلا لا وجه له عند الله تعالى، فيحشر ووجهه عظم لا لحم فيه، عقابا له لسؤاله بوجهه.[2] وهذا دليل على الحرمة لما ترتب على هذا الفعل من عقوبة.

روي عن عوف بن مالك قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فرددها ثلاث مرات، فقدمنا أيدينا فبايعناه فقلنا: يا رسول الله قد بايعناك فعلام؟ قال: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، والصلوات الخمس، وأسر كلمة خفيفة أن لا تسألوا الناس شيئا".[3]

وجه الدلالة: يبين هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع أصحابه على عدم سؤال الناس، ولو كان السؤال جائزا لما منعهم وبايعهم على عدمه.[4]

ويحرم التسول من نواح أخرى لارتباطه بثلاثة أمور محرمة وهي:

1-إظهار الشكوى من الله تعالى، إذ أن السائل بسؤاله يظهر الفقر ويشتكي من نعمة الله تعالى عليه، وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل إلا لضرورة كما تحل الميتة.

2-السائل بسؤاله يذل نفسه لغير خالقه، بل عليه أن يذلها لمولاه عز وجل.

3-أنه لا ينفك عن ظلم المسؤول غالبا، لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه فإن بذل حياء من السائل، أو رياء فهو حرام على الآخذ، وإن منع بما استحيى وتأذى في

1-صحيح مسلم، مرجع سابق،ج2، ص721، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم 1040.

2-يحي بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي)، مؤسسة قرطبة، ط2، 1414هـ/ 1994م، ج7، ص183، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم 1040.

3-صحيح مسلم، مرجع سابق، ج2، ص721، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم1043.

4- المنهاج، مرجع سابق، ج7، ص185، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، رقم1043.

نفسه بالمنع إذ يرى في نفسه صورة البخلاء، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في الإيذاء، والإيذاء حرام إلا بضرورة.[1]

2-ويكون مباحا: إذا كان لضرورة، أو حاجة في أمر لابد منه. وقد أجاز الشارع الحكيم للإنسان أن يسأل الناس ضمن ضوابط معينة وفي حالات محددة، ولا يعد السائل في هذه الحالة متسولا بل له الحق في السؤال، ومن هذه الضوابط:

الحمالة: وهي من الفعل حمل أي بمعنى كفل، وهي المال الذي يتحمله الإنسان، أي يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين، كالإصلاح بين قبيلتين ونحوه، فإنها تحل له المسألة.[2]

الجائحة: وهي الآفة. يقال: جاحة الآفة المال تجوحه جوحا إذا أهلكته، وهي أيضا الشدة التي تجتاح المال من سنة. أو فتنة، يقال: جاحتهم الجائحة واجتاحتهم، وجاح الله ماله، أي أهلكه بالجائحة.[3]

الفاقة: وهي تعني الفقر والحاجة، وافتاق الرجل: احتاج وافتقر.[4]

سؤال السلطان: أي سؤال السلطان من مال الصدقات، أو لحق السائل في بيت مال المسلمين، أو في أمر لابد منه.

الدين الفظيع والدم الموجع: فإن صاحب الدين الفظيع، والدم الموجع يحق لهما السؤال حتى يسد صاحب الدين دينه، ويقضي صاحب الدم ديته.

ودليل هذه الضوابط:

قوله تعالى: { وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ...}[5]

1-ابن قيم الجوزية، موسوعة الأعمال الكاملة (جامع الفقه)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1421هـ/ 2000م، ج3، صص49 – 50.

2- مختار الصحاح، مرجع سابق، ج1، ص65.

3-نفسه، ص49.

4-نفسه، ص216.

5- سورة البقرة. الأية: 177.

وجه الدلالة في الآية: جاء في شرح هذه الآية أن السائلين هم من يتعرضون لطلب الصدقات والزكوات، وذلك بأنهم أصحاب حق فيه.[1] وهؤلاء لا يعدون من المتسولين.

وقوله تعالى: { وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ } الذاريات: 19.

وجه الدلالة في الآية: جاء في شرح هذه الآية أن السائل هو الذي يسأل الناس لفاقته، أي لحاجته، ومن يسأل لحاجة أو فقر لا يعد متسولا.

روى مسلم عن قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه قال تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها قال ثم قال يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا "لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش أو قال سداداً من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتا".[2]

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن المسألة كد يكد بها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سلطانا، أو في أمر لابد منه.)[3]

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع.)[4]

قال ابن حزم رحمه الله: "واتفقوا على أن المسألة لمن هو فقير ولا يقدر على الكسب مقدار ما يقيم قوته مباحة."[1]

1-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ/ 2006م، ج3، ص60.

2-صحيح مسلم،مرجع سابق، ج2، ص722، كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، رقم1044.

3-نفسه، 722.

4عمدة القاري مرجع سابق، ج9، ص71، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة.

3-ويكون مكروها: إذا كان عند المرء ما يكفيه، ويجد بدا من السؤال، ولم يظهر فوق ما هو به.[2]

ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله كراهة المسألة كلها بقوله: (أكره المسألة كلها، ولم يرخص فيه، إلا أنه بين الأب والولد أيسر. ذلك أن فاطمة رضي الله عنها "أتت النبي صلى الله عليه وسلم وسألته"خادما، وإن اشترى شيئا قال: أخذته بكذا، فهب لي منه كذا، نقل قوله: لا تعجبني هذه المسألة، وسئل: ربما اشتريت الشيء فأقول: أرجح لي؟ فقال: هذه المسألة لا تعجبني.)[3]

4-ويكون واجبا: إن كان في تركه هلاك لنفسه. كما أنه لا يوجد في اختلاف بين الفقهاء في من اشتد جوعه، وعجز عن كسب قوته بأنه يجب على كل من علم بحاله إطعامه، وإن لم يعلم به أحد يجب عليه أن يسأل ويعل بحاله، فإن لم يفعل حتى مات يعد قاتلا لنفسه[4]، يقول الله تبارك وتعالى: {.. وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ..}[5].

وهو قول جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية، وهو إحدى الروايتين عند الحنابلة، وبه قال ابن حزم من الظاهرية.

5-ويكون مندوبا: لمن يسأل غيره إعانة له وبيانا لحاجته "إن استحى هو من ذلك، أو رجا أن يكون أنفع وأنجح من بيان السائل، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل لغيره."[6]

1-الحافظ بن حزم الظاهري، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار ابن حزم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1419، ج11، ص250.

2-عمدة القاري، مرجع سابق، ج9، ص71.

3-صحيح مسلم، مرجع سابق، ص1091،كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم2727.

4محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: عبد المجيد الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2000 ج4، ص97.

5- سورة البقرة. الآية: 195.

6أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب الرعيني، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/ 1995م، ج3، ص228.

من خلال الأحكام الشرعية المذكورة آنفا يتبين لنا أن ليس كل سائل يعد متسولا، وأن الشارع الحكيم أجاز السؤال لفئة معينة وذكر ذلك بصريح العبارة في محكم تنزيله.

الفصل الثاني:

أساليبها وطرق معالجتها من الناحية الفقهية

المبحث الأول: أصناف المكدين وصفاتهم.

المبحث الثاني: السبل التي يسلكها المكدي.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة عن الكدية وطرق معالجتها في الفقه الإسلامي.

الفصل الثاني: أساليب الكدية وطرق معالجتها من الناحية الفقهية

تعد الكدية كظاهرة اجتماعية في تاريخ الاندلس وتاريخ العالم الاسلامي عموما من بين وسائل الاسترزاق رغم ما تحمله من سلبية لبس على صاحبها فقط أي المكدي لكن لها آثار اجتماعية جمة حاول الفقه الاسلامي معالجتها بطرق شتى يدخل الوعظ من ضمنها. والمكدي كما سنرى في هدا الفصل له صفات عدة يمتاز بها متبعا في كديته أساليب شتى يحتال بها على غيره.

وقد عالجنا موضوع هدا الفصل عبر مباحث ثلاث خصصنا الأول لإبراز صفات المكدي أما الثاني فمتعلق بأساليب الكدية فيما خصصنا المبحث الثالث لطرق معالجة الكدية من الناحية الشرعية

المبحث الأول: أصناف المكدين وصفاتهم.

أولا: أصناف المكدين:

1- الكاغاني: "هو الذي يتفالج فالج الرعدة والارتعاش".[1]

2- القرسي: "هو شخص يعصب ساقه وذراعه بشدة ليلة كاملة حتى يتورم، فيضع عليه خرقة، ويكشف عن جزء منه".[2]

3- المشعب: "هو شخص يحتال للصبي حين يولد بأن يعميه أو يجعل له عاهة في جسمه ليسأل الناس به أهله".[3]

4- الكاخان: "هو الغلام المكدي. أحيانا يصطحب السروجي أولاده وذلك حيلة تساهم في

---

[1]- عبد الرحمن مرعي، الكدية في المقامات الحريرية، الكرمل أبحاث في اللغة والأدب، العدد 117(1996)، ص147.

[2]- أحمد الحسين. أدب الكدية في العصر العباسي، دراسة في أدب الشحاذين والمتسولين، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط2، 1995،ص48. ينظر: المحاسن والمساوئ. ص422.

[3]-نفسه، ص 47-48.

صنيع الكدية".[1]

5- الفليور: هو شخص يحتال لشخصيته، حتى يريك أنه آدار، وربما أراك أن بهما شرطا أو جرحا، وربمآ أرى ذلك في دبره، وتفعل المرأة ذلك بدبرها.[2]

6- العواء: هو الذي يسأل بين المغرب والعشاء، وربما طرّب إن كان له صوت حسن وحلق شجيّ.[3]

7- الإسطيل: "هو المتعامي إن شاء أراك أنه مخنفس العينين".[4]

8- المزيدي: "هو الذي يدور ومعه بعض الدريهمات، ويقول هذه دراهم قد جمعت لي في ثمن قطيفة، فزيدوني فيها رحمكم الله".[5]

9- المستعرض: "هو الشخص الذي يعارضك، وهو ذو هيئة وفي ثياب صالحة، وكأنه قد مات من الحياء. ويخاف أن يراه معرفة. ثم يعترضك اعتراضا، ويكلمك خفيا".[6]

10- السحري: "هو الذي يبكر إلى المساجد من قبل أن يؤذن المؤذن".[7]

11- المكي: "هو المكدي الذي يدخل المسجد ويدعي انه سلب في الطريق أو أصابه الفقر وعضه الجوع".[8]

12- الشجوي: "هو الذي كان يؤثر بيده اليمنى ورجليه حتى يري الناس انه

---

[1]- المرجع السابق. ص 147.

[2]- إبراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1119، ج1، ص423.

[3]- أدب الكدية في العصر العباسي، مرجع سابق، ص48.

[4]- الكدية في المقامات الحريرية، مرجع سابق، ص 147.

[5]- المحاسن والمساوئ، مرجع ساب، ص 423.

[6]- أدب الكدية في العصر العباسي، مرجع سابق، ص 49.

[7]- نفسه، ص 49.

[8]- الكدية في المقامات الحريرية، مرجع سابق. ص147.

كان مقيدا مغلولا".[1]

13- الذراحي: "هو الشخص الذي يأخذ الذراريح فيشدها في من أول الليل، ويبيت عليه ليلته حتى يتقيظ فيخرج بالغداة عريانا، وقد تنفط ذلك الموضع، وصار فيه القيح الأصفر ويصب على ظهره قليل رماد، فيوهم الناس أنه محترق".[2]

14- الخاقاني: "هو الذي يحتال في وجهه حتى يجعله مثل خاقان ملك الترك، ويسوده بالصبر والمداد ويوهمك أنه ورم".[3]

15- السكوت: "هو الشخص الذي يوهمك أنه لا يحسن أن يتكلم".[4]

16- الكان: "هو الذي يواضع القاص من أول الليل ن على أن يعطيه النصف أو الثلث، فيتركه حتى إذا فرغ من الأخذ لنفسه، اندفع هو فتكلم".[5]

17- زكيم الحبشة: "هو الذي يتشبه بالغزاة".[6]

18- زكيم المرحومة: "المكافيف يجتمعون خمسة وستة وأقل وأكثر، وقائدهم يبصر أدنى شيء، عينه مثل عين الخفاش".[7]

19- المطين: "هو الذي يطين نفسه من قرنه إلى قدمه، ويأخذ البلاذر، يريك كأنه يأكل البلاذر".[8]

20- البانون: "هو الذي يقف على الباب يقول: بينوا ومعناها بالفارسية أنه منقطع

---

[1]- أدب الكدية في العصر العباسي، مرجع سابق، ص49-50. ينظر: المحاسن والمساوئ، ص 422.

[2]- نفسه، ص50. ينظر المحاسن والمساوئ، ص 422.

[3]- المحاسن والمساوئ، ص422. ينظر: أدب الكدية في العصر العباسي، ص50.

[4]-أدب الكدية في العصر العباسي، مرجع سابق، ص50.

[5]-نفسه، ص50. ينظر: المحاسن والمساوئ، ص423.

[6]- أدب الكدية في العصر العباسي، مرجع سابق، ص50. ينظر: المحاسن والمساوئ، مرجع سابق، ص423.

[7]- المحاسن والمساوئ. ص 423.

[8]- المرجع السابق، ص51.

مسكين".[1]

21- المخطراني: "هو الذي يأتيك في زي ناسك، ويريك أن بابك قد قور لسانه من أصله أنه كان مؤذنا هناك، ثم يفتح فاه كما يصنع من يتثاءب فلا ترى له لسانا البتة".[2]

22- المقدسي: "هو المكدي الذي يقف على الميت يسأل في كفنه".[3]

23- الكعبي: "هذا الصنف أضيف إلى أبي بن كعب الموصلي، وكان عريفهم بعد خالويه".[4]

24- الزكوي: "هو خبز الصدقة كان على سجين أو على سائل".[5]

25- المحرز: "هو الذي يكتب التعاويذ".[6]

26- الحاجور: "هو الذي يأخذ الحلقوم مع الرئة فيدخل الحلقوم في دبره ويشرح الرئة على فخذه تشريحا رقيقا ويذرُّ عليه دم الأخوين".[7]

27- المفلفل: "الرفيقان يترافقان فإذا دخلا مدينة قصدا أنبل مسجد فيها، فيقوم أحدهما في أول الصف، فإذا سلم الإمام صاح الذي في آخر الصف بالذي في أول الصف: يا فلان قل لهم، فيقول الأخر: قل لهم أنت أنا أيش. فيقول: قل ويحك لا تستح. فلا يزالان كذلك وقد علقا قلوب الناس ينتظرون ما يكون منهما، فإذا علما أنهما قد علقا القلوب تكلما بحوائجهما...فيوهما الناس أنهما قد ماتا من الحياء".[8]

---

[1]- نفسه، ص51.

[2]- أدب الكدية في العصر العباسي، ص 51.

[3]- المرجع السابق، ص147، ينظر: أدب الكدية في العصر العباسي، ص51.

[4]- أدب الكدية في العصر العباسي، مرجع سابق، ص52.

[5]- نفسه. ص52.

[6]- الكدية في المقامات الحريرية، مرجع سابق، ص147.

[7]- المحاسن والمساوئ، مرجع سابق، ص422.

[8]- نفسه. ص423.

ثانيا: صفاتهم

أ- سمات أبو الفتح الإسكندري:

تختلف صفات وملامح المكدي من شخصية إل أخرى، واجتمعت في أبي الفتح الإسكندري صفات خَلقية وأخرى خُلقية، ذكرها الهمذاني في مقاماته. وهي كالتالي:

أولا: الصفات الخَلقية:

تفنن الاسكندري في تغيير مظهره الخارجي، فمن الصعب جدا تحديد ملامحه وصفاته الحقيقية، وهذا جلي في مقامات الهمذاني.

فنجدة تارة في هيئة شاب كما ورد في المقامات الهمذانية[1]، نذكر منها ماجاء في المقامة القريضية: "شاب قد جلس غير بعيد، ينصت كأنه يفهم، ويسكت كأنه لا يعلم".[2]

وجاء في المقامة البلخية: "شاب في زي ملئ العين، ولحيته تشوك الأخدعين، وطرف قد شرب ماء الرافدين".[3]

ونجده تارة أخرى في هيئة رجل،[4] كما جاء في المقامة الأرذانية: "رجلا قد لف رأسه ببرقع حياء".[5]

وجاء في المقامة الحلوانية: "فجاءني برجل لطيف البنية، مليح الحلية، في صورة الدمية".[6]

ويظهر تارة أخرى في هيئة شيخ مسن،[7] كما جاء في المقامة الخمرية على لسان الجارية:

---

[1]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص149.

[2]- أبو الفضل أحمد بن يحيى بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط3، 1426هـ/ 2005م، المقامة القريضية، ص7.

[3]- نفسه، المقامة البلخية، ص18.

[4]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص149.

[5]- المرجع السابق، المقامة الأرذانية، ص13.

[6]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة الحلوانية، ص199.

[7]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص 150.

"إن لي شيخا ظريف الطبع، طريف المجون".[1]

فظهور البطل في هيئات مختلفة، وأعمار مختلفة، هي الوسيلة التي تقتضيها طبيعة الظروف، وقد تفنن الإسكندري لي تفسير مظهره الخارجي، فكان يلبس لكل سن لباسا خاصا به، وهذا ما يحتاجه المكدي بالدرجة الأولى، فهو سر نجاح مهنته.[2]

ثانيا: الصفات الخُلقية:

الصفات الخَلقية لم تكن وحدها كافية لنجاح الإسكندري في مهنته، لولا اتصافه بصفات خُلقية، منها ماكانت سبب في تكديته، ومنها ما اكتسبها أثناء ممارسته للكدية. منها:

1-حقده ونقمته:

يعتبر حقد الإسكندري ونقمته من الدوافع الرئيسية إلى الكدية، ساعيا إلى القضاء على عقدة الفقر، فكان يحتال على جميع الناس.[3]

وقد صرح بذلك في المقامة البصرية قائلا:

والفقر في زمن اللئا م لكل ذي كرم علامة

رغب الكرام إلى اللئا م وتلك أشراط القيامة.[4]

2-غروره ونفجه:

كان الإسكندري يفتخر بتكديته وحيله، ويرى بأن ما يقوم به لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، وتجد في صوته نبرة الغرور.[5] كما ورد في المقامة السجستانية: "من عرفني فقد عرفني، ومن

[1]- المرجع السابق، المقامة الخمرية، ص274.

[2]- المرجع السابق، ص 151.

[3]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص151.

[4]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة البصرية، ص 78-79.

[5]- المرجع السابق، ص153.

لم يعرفني فأنا أُعرفه بنفسي، أنا باكورة اليمن، وأحدوثة الزمن، أنا أدعية الرجال، ...، أنا أبو العجائب عاينتها وعانيتها، وأم الكبائر قايستها وقاسيتها".[1]

فقد حاول تفخيم صورته أمام الناس ليوهمهم بشهرته، وإن كان صيته لم يصل إليهم فيعرفهم بنفسه، وقد وصل به الغرور إلى درجة الاعتقاد بأنه لم يخلق أحد مثله.[2] جاء في المقامة الموصلية:

لا يُبعد الله مثلي وأين مثلي أينا

لله غفلة قوم غنمتها بالهوينى.[3]

وقال في المقامة المطلبية:

أنا جبار الزمان لي من السخف معاني

وأنا المنفق بعـ ـد المال من كيس الأماني.[4]

3- صبره:

كان الإسكندري صبورا في مهنته، فالصبر هو السبيل الوحيد للوصول إلى جيوب الناس.[5] ومما يدل على شدة صبره، ما جاء في المقامة الحرزية: "...فلما ملكنا البحر، وجنّ علينا الليل، وغشيتنا تمد من الأمطار حبالا، وتحوذ من الغيب جبالا، بريح ترسل الأمواج أزواجا، والأمطار أفواجا، وبقينا في يد الحين، بين البحرين... وأصبحنا نتباكى ونتشاكى، وفينا رجل لا يخضل جفنه، ولا تبتل عينه، رخيُّ الصدر منشرحه، نشيط القلب فرحه، فعجبنا له كل العجب.."[6]

[1]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة السجستانية، ص24-27.

[2]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص 154.

[3]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة الموصلية، ص120.

[4]- نفسه، المقامة المطلبية، ص279.

[5]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص155.

[6]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة الحرزية، ص137-138.

فقد تعجب الجميع من صبره، وسأله عيسى بن هشام: كيف نصرك الصبر وخذلنا؟ فقال:

ويك لولا الصبر ما كنـ ت ملأت الكيس تبرا

لن ينال المجد من ضا ق بما يغشاه صدرا.[1]

4- شراهته وبخله:

كان الإسكندري خبيرا في وصف الطعام والشراب، ما لذ منه وما طاب، حيث كان همه الوحيد إشباع بطنه، دون مراعاة مشاعر من حوله، فتجده أحيانا يسأل الطعام ولا يسأل المال[2]، وقد عرض لعيسى بن هشام أكلات شهية وصفها في المقامة المجاعية: "فما تقول في رغيف، على خوان نظيف، وبقل قطيف، وملح خفيف،... ثم يعلّك بعد ذلك بأقداح ذهبية، من راح عنبية، أذاك أحبّ إليك أم أوساط محشية، وأكواب مملوّة".[3]

كما كان شديد الحب للمال، فيصف دينارا من الذهب في المقامة المكفوفية:

يا حسنها فاقعة صفراء ممشوقة منقوشة قوراء.[4]

وشبه المال بالمطر في المقامة الناجمية فقال: " أما الوطر فالمطر، وأما السائق فالضر، والعيش المر، فقلنا: فلو أقمت بهذا المكان لقاسمناك العمر فما دونه، ولصادفت من الأمطار ما يُزرع، ومن الأنواء ما يُكرع... لكن أمطاركم ماء، والماء لا يروي العطاش".[5]

ومن شدة حبه للمال صار بخيلا، وهو ينصح ابنه بذلك كما جاء في المقامة الوصية: " فلا آمن عليك لصين: أحدهما الكرم، واسم الآخر القرم، ... إنه المال عفاك الله، فلا تنفقن

[1]- نفسه، المقامة الحرزية، ص139.

[2]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص156.

[3]- المرجع السابق، المقامة المجاعية، ص147-148.

[4]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة المكفوفية، ص95.

[5]- نفسه، المقامة الناجمية، ص220-221.

إلا من الربح، وعليك بالخبز والملح، ولك في الخل والبصل رخصة ما لم تُذمَّهما،... ثم كن مع الناس كلاعب الشطرنج، خذ كل ما معهم، واحفظ كل ما معك".[1]

5- نفاقه:

قد عبث الإسكندري بالمقدسات الإسلامية، حيث ادّعى أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه، كما ادّعى في المقامة القزوينية بأنه تائب فار من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين، وأنه بحاجة إلى المال للجهاد[2] قائلا:

أدعو إلى الله فهل من مجيب إلى ذرّا رحب ومرعى خصيب

وجنّة عالية ما تني قطوفها دانية ما تغيب

يا قوم إني رجل تائب من بلد الكفر وأمري عجيب

إن أك آمنت فكم ليلة جحدت ربي وأتيت المريب.[3]

ومن ادعاءاته أيضا أنه رجل صالح تقي، يؤم الناس في الصلاة، وإذ به يشم رائحة الخمر منبعثة من بعض المصلين فأمر بضربهم وإهانتهم، ليظهر للناس الورع والتقوى وهو في الحقيقة أخبث الناس، حيث كان مطرب حانة، وأن قدرته على كشف رائحة الخمر في المصلين لم تكن أبدا بسبب ورعه وإنما بسبب خبرته في ذلك.[4] كما جاء في المقامة الخمرية: "وجعل يطيل إطراقه، ويديم استنشاقه، ثم قال: أيها الناس من خلط سيرته، وابتلي بقاذوراته، فليسعه ديماسه، دون أن تنجسنا أنفاسه، إني لأجد ريح أم الكبائر من بعض القوم،... وسألنا من مرّ بنا من الصبية، عن إمام تلك القرية، فقالوا: الرجل التقي أبو الفتح الإسكندري،... ولما حشر النهار

[1]- نفسه، المقامة الوصية، ص233.

[2]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص158.

[3]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة القزوينية، ص103.

[4]- المرجع السابق، ص159.

أو كاد، نظرنا فإذا برايات الحانات أمثال النجوم في الليل البهيم، (قال) ودعت بشيخها فإذا هو إسكندريّنا أبو الفتح..."[1]

6- فلسفته ومنطقه:

كان الإسكندري فيلسوفا وشاعرا، حيث كان يعبر عن آرائه وأفكاره بأبيات شعرية، فلا تكاد تخلو مقامة من مقاماته من الشعر الذي يبين فلسفته ومنطقه. ومن أمثلة ذلك: أنه ينصح بعد الظهور بالوجه الحقيقي، وأنه لابد للمرء أن يكون ذو وجهين، كما يصف تلون حاله، إذ لا يمكن لأحد أن يحدد لونه الحقيقي.[2] فيقول:

لا تلتزم حالة ولكن در بالليالي كما تدور.[3]

ويقول:

أنا أبو قلمون في كل لون أكون.[4]

ويظهر منطقه في الكسب، فيدفع اللوم عن نفسه فيما يمتهنه من الحرف الدنيئة، فحال الزمان أدى به إلى ذلك، وأنه يجب اختيار من الكسب ما يتناسب مع حال الدهر الذي يعيشه، كما يجب التعامل بحمق وجنون لنيل المراد.[5] فيقول:

اختر من الكسب دونا فإن دهرك دون

زجّ الزمان بحمق إن الزّمان زبون.[6]

[1]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة الخمرية، ص271-274.

[2]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص159-160.

[3]- المرجع السابق، المقامة القريضية، ص11.

[4]- نفسه، المقامة المكفوفية، ص96.

[5]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص161.

[6]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة المكفوفية، ص96.

7- ثقافته وبلاغته وفصاحته:

يظهر ذلك في جل المقامات التي ذكر فيها أبو الفتح الإسكندري تقريبا، حيث أكثر من الاقتباس والتضمين، وقد شهد له عيسى بن هشام بذلك عدة شهادات.[1] من بينها:

قوله في المقامة المضيرية: "ومعي أبو الفتح الاسكندري، رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه، والبلاغة يأمرها فتطيعه".[2]

ويرحب به في المقامة السارية فيقول: "مرحبا بأمير الكلام، وأهلا بضالة الكرام".[3]

ب- سمات السروجي:

صور الحريري شخصية المكدي من خلال شخصية السروجي لأنه كان يرى بأنه الرمز الذي يجسد حقيقة المكدين وهي كالتالي:

1-الأدوات: يمكن تشخيص هيئة المكدي من خلال مظهره الخارجي من ملبس وملامح وأدوات كالعكاز.

2-المسكن: اجتماع المكدين في مسكن واحد لا تعود ملكيته لأحد منهم بل للجميع.

3- أقوال الحكمة: اشتهر المكدون وعلى رأسهم السروجي بأقوال الحكمة وأمثال الدارجة، وكان لذلك أثر بليغ في نفوس المستمعين.[4]

[1]- المرجع السابق، ص162.

[2]- المرجع السابق، المقامة المضيرية، ص122.

[3]- نفسه، المقامة السارية، ص264.

[4]- الكدية في المقامات الحريرية، مرجع سابق، ص146.

المبحث الثاني: السبل التي يسلكها المكدي

أولا: أساليب أبو الفتح الإسكندري:

1-الكدية بالأوراق: بأن يكتب للناس حاجته في هذه الأوراق، وهي إحدى السبل التي سلكها الإسكندري، وكان حسن البيان والفصاحة، وقد شحذ على عيسى بن هشام فأعجب بفصاحته وسأله عن مهنته[1]، فقال: "نمتْني قريش ومُهّدَ لي الشرف في بطائحها" ولكن أحد الحضور تعرّف عليه فقال: "ألست بأبي الفتح الإسكندري؟ ألم أرك بالعراق، تطوف بالأسواق مكدّيا بالأوراق".[2]

2- التكدّي بالعيال: كان الإسكندري يجمع الصبيان وينتحلهم أولادا له، فهو يسعى من وراء ذلك إلى استعطاف مشاعر الآخرين،[3] ولقد صور عيسى بن هشام هذا المشهد في المقامة الجرجانية قائلا: "بينما نحن بجرجان في مجمع لنا نتحدث، وما فينا إلا منّا، إذ وقف علينا رجل ليس بالطويل المتمدد، ولا القصير المتردد، كثّ العثون، يتلوه صغار، في أطمار".[4]

كما صور مشهده وهو يحمل معه طفلا عريانا، فيقول: "وحين احتفل الجامع بأهله، طلع إلينا ذو طِمْرَيْن ، قد أرسل صنوانا، واستتلى طفلا عريانا،... لا ينظر إلى هذا الطفل إلا من الله طفّله، ولا يرق من هذا الضّر إلا من لا يأمن مثله".[5]

وكان في بعض الأحيان لا يأخذ عياله معه، بل يكتفي بعرض حالهم للناس، ووصفهم لهم، فيكسب شفقة الناس على حاله وحال عياله.[6]

---

[1]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص135.

[2]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة البلخية، ص21.

[3]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص136.

[4]- المرجع السابق، المقامة الجرجانية، ص56.

[5]- نفسه، المقامة البخارية، ص97.

[6]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص137. -

3- التكدّي بالحيوان: كان الإسكندري يتكدّى بقرد يراقصه ويلاعبه، رغم علمه بدناءة وحقارة ذلك الفعل، وبتجاهله وقبوله بالدنية استطاع أن يدرك مايتمنى.[1] وذكر ذلك عيسى بن هشام في المقامة القردية: "...فساقني الحرص إلى ما ساقهم، فإذا هو قرّاد يُرقِص قرده، ويضحك من عنده،... فلما فرغ القرّاد من شغله، وانتفض المجلس عن أهله، قمت وقد كساني الدهش حلته،ووقفت لأرى صورته، فإذا هو والله أبو الفتح الإسكندريّ، فقلت ما هذه الدناءة ويحك" فأنشأ يقول:

الذّنب للأيام لا لي فاعتب على صرف الليالي

بالحُمق أدركت المنى ورفلت في حلل الجمال.[2]

4- التكدّي بالتنكُّر: تفنن الإسكندري في تنكّر مظهره الخارجي، حيث لفّ على جسمه لباسا من الصوف، وجعل له بطنا كبيرا، فظهر في حالة مزرية تبين فقره المدقع، وليس هذا فسب بل قام بتغيير صوته، فلم يستطع عيسى بن هشام معرفته[3]، فقد وصف حالة الإسكندري في المقامة المكفوفية قائلا: "معتمدا على عصا فيها جلاجل، يضرب الأرض بها على إيقاع غنج، بلحن لزج، وصوت شج من صدر حرج...فرقّ له قلبي، واغرورقت له عيني، فنلته دينارا كان معي".[4]

وذكر أيضا تنكر الإسكندري لصوته في المقامة القزوينية قائلا: "...حتى سمعنا صوتا أنكر من صوت الحمار، ورجعا أضعف من رجع الحوار".[5]

---

[1]- نفسه، ص138. -

[2]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة القردية، ص113-114.

[3]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص139.

[4]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة المكفوفية، ص94-95.

[5]- نفسه، المقامة القزونية، ص102.

ويحكي عيسى بن هشام أنه لم يستطع التعرف على حقيقة البطل قائلا: "من أنت يا شيخ؟ فقال: سبحان الله لم ترض بالحيلة فغيرتها، حتى عمدت إلى النعرفة أنكرتها، أنا أبو الفتح الإسكندري".[1]

5- التّكدّي بالدّين: لم يكتف أبو الفتح الإسكندري بأمور الدنيا فحسب، بل جعل من الدين كوسيلة للكدية، بمظاهر مختلفة، إذ نجده تارة إماما خاشعا متأنيا يطيل الصلاة ولا يبالي بالمصلين خلفه، فمنهم المريض، ومنهم المسنُّ، ومنهم الطفل الصغير، وبعد أن يخلص من الصلاة يمهد لأمر الكدية ليَطْمَئنَّ من ثقة المصلين به، وأن كلامه سيستعطفهم،[2] يقول عيسى بن هشام واصفا إمامة الإسكندري: "وإمامنا يجد في يجد في خفضه ورفعه، يدعونا بإطالته إلى صفعه، حتى إذا راجع بصيرته، ورفع بالصلاة عقيرته تربع في ركن محرابه.."[3]

وذكر في المقامة الأصفهانية: "وصرت إلى أول الصفوف، ومثلت للوقوف، وتقدم الإمام للمحراب، وقرأ فاتحة الكتاب،...حتى قوس للركوع، بنوع من الخشوع، وضرب من الخضوع، لم أعهده من قبل، ثم رفع رأسه ويده، وقال سمع الله لمن حمده، وقام حتى ما شككت أنه قد نام،...قراءة استوفى بها العمر ساعة، واستنزف أرواح الجماعة".[4]

ونجده تارة أخرى رجل دين يعظ الناس، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والتذكير بالآخرة والتحذير من الدنيا ولذّاتها، وأنها دار فناء، والآخرة هي دار البقاء، وقد سميت مقامة بالوعظية يعظ فيها الناس من بدايتها إلى نهايتها،[5] ذكر عيسى بن هشام ذلك قائلا: "ألا وإن

---

[1]- نفسه، المقامة الوعظية، ص158.

[2]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص141-142.

[3]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة الخمرية، ص270.

[4]- نفسه، المقامة الأصفهانية، ص62-63.

[5]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص142.

الدنيا جهاز، وقنطرة جواز، من عبرها سلم، ومن عمرها ندم،... والناس رجلان: عالم يرعى، ومتعلم يسعى، والباقون هامل نعام، وراتع أنعام.."[1]

وتارة أخرى يدّعى أنه رجل صالح، وأنه رؤى الرسول صلى الله عليه وسلم في منامه وقد خصه بوصية، فكتبها على الأوراق، وتوعد بأن يهديها بدون مقابل، ومن عوضه عن ثمن الطيب والقرطاس فهو مشكور، وقد حصل على دراهم عديدة لم تكن بالحسبان.[2]

يصور عيسى بن هشام ادعاء الإسكندري في المقامة الأصفهانية قائلا: "رأيته صلى الله عليه وسلم في المنام، كالشمس تحت الغمام، والبدر ليل التمام، يسير والنجوم تتبعه، ويسحب الذيل والملائكة ترفعه، ثم علمني دعاء أوصاني أن أعلم ذلك أمته، فكتبته على هذه الأوراق بخلوق ومسك، وزعفران وسك، فمن استوهبه مني وهبته، ومن ردّ عليَّ ثمن القرطاس أخذته".[3]

6- طرق الأبواب: كان الإسكندري يطرق أبواب الناس وخاصة في الليل، دون أن يكترث بالعواقب، ويحكي ذلك عيسى بن هشام عندما حل ضيفا عند رفيقه،[4] فيقول: "ولما اغتمض جفن الليل وطر شاربه، قُرع علينا الباب، فقلنا: من القارع المنتاب؟ فقال: وفقد الليل وبريده، وفلُّ الجوع وطريده، وحُرٌّ قاده الضرّ، والزمن المرّ، وضيف وطؤه خفيف، وضالّته رغيف...، قال عيسى بن هشام: ففتحنا له الباب وقلنا: ادخل فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندريّ".[5]

[1]- المرجع السابق، المقامة الوعظية، ص152-153.

[2]- نماذج إنسانية، مرجع سابق، ص142.

[3]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة الأصفهانية، ص65.

[4]- المرجع السابق، ص145.

[5]- مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، المقامة الكوفية، ص31-33.

'ثانيا: أساليب السروجي:

1- التكسُّب: كان السروجي يتَّصفُ بالفصاحة وعلم البيان، وهما أبرز عناصر الكدية للتكسُّب عنده، فكان يبهر عقول سامعيه بأدبه، ويحصل على المال، حيث كان لا يتكلّم بدون مقابل.

وكان أحيانا يدّعي العلم والمعرفة فيستغل المواعظ وإثارة المشاعر الدينية للحصول على الهدايا والأموال.[1]

2- الابتزاز: لجأ إلى شنّ مشاكل عائلية تتنافى والقيم الإنسانية، ويظهر للناس أن وضعه المادي سبب ذلك، كما كان يبيع التمائم، وأحيانا يتظاهر بأنه معاق جسديا، وأحيانا أخرى يتظاهر بالعمى، ووصل به الحد إلى بيع ابنه.[2]

3- التّطفل: كان يرتدي ثيابا رثّة ويجمع الألبسة وبقايا الطعام، وكان يجرّ أولاده الصغار على أنهم جياع ويطلب لهم الأكل.[3]

[1]- الكدية في المقامات الحريرية، مرجع سابق، ص140.

[2]- نفسه، ص140

[3]- نفسه، ص141.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة عن الكدية وطرق معالجتها في الفقه الإسلامي:

أولا: الآثار المترتبة عن الكدية:

1- أثرها على السائلين:

"يعدُّ تقدير الذات من السمات الشخصية التي يحتاج الإنسان أن يتحلى بها كي يعيش حياة طبيعية وكريمة، وليصرف بشكل إيجابي في مجتمعه، فهذه السمة ترتبط بمدى احترام الشخص لنفسه".

فعند ممارسة التسول والاعتياد على مشاكله، وعلى مقدار الإهانة التي يتعرض لها المتسول سيقل مدى احترام المتسول لذاته.[1]

"التسول حرفة لا يضاهيها من الدناءة حرفة أبدا، وهي بذل ما ليس له عوض وهو الحياء ماء الوجه، لنيل ماله عوض وهو الرزق المضمون من الرزّاق سبحانه القوي المتين."[2]

إذ يعتاد صاحبه على الكسل وعدم بذل الجهد في تحصيل المال، فيقع في الحرام بالكذب ويأكل أموال الناس بالباطل، زيادة على ذلك ارتكابه بعض المعاصي كالسرقة،[3] وبعض الممارسات الخاطئة كارتدائه لملابس متسخة وممزقة، وتناوله الأطعمة الباردة في الشوارع دون غسل اليدين أو التأكد من نظافة الطعام...، وكذلك تواجده ضمن ظروف معيشية سيئة لا تتوفر فيها المعايير الصحية الملائمة

للعيش، تسبب له أمراضا متعدّدة كالربو والسل والروماتيزم...[4]

[1]- آيات سعيد نواورة، آثار التسول، آخر تحديث 12:37، 3 مارس2020.

[2]- أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، المروءة وخوارمها، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، الجيزة، ط1، 1420هـ/ 2000م، ص213.

[3]- أحكام المسألة والاستجداء في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص313.

[4]- آثار التسول، مرجع سابق

2- أثرها على الفقراء والمتعففين:

صعوبة التفريق بين المحتاج الحقيقي وغيره أدى بأصحاب الأموال إلى الإنفاق على الفئة المحتالة، مما أدى في المقابل إلى تضرر الفقراء والمساكين الذين عدّهم الله عزّ وجل في آيات الصدقات، ولأن كثيرا من المتعففين يستحيون من طلب الزّكاة مع أنّها مشرعة لهم أساسا، فيقعون في حرج شديد، من إثقال كاهلهم بالدين، لأنّ الزكاة المفروضة التي من حقهم ذهبت إلى يسألون الناس تكثرا في كل مكان.[1]

3- أثرها على الأطفال والنساء:

تشكل هذه الظاهرة خطرا كبيرا على حياة الأطفال، حيث تجدهم يقضون معظم أوقاتهم في الشوارع بدل المدارس، فهم محرومون من أبسط الأمور، كالتمتع بمرحلة الطفولة.

وقد وجد أغلب الأطفال المتسولين لا يملكون شهادات، وهذا ما يؤثر سلبا على نفسية الطفل، حيث يفقد كرامته ويصبح غير قادر على بناء شخصيته، بسبب الإهانات التي يتعرض لها أثناء تسوله، ناهيك عن الاعتداءات اللفظية والجسدية.

وقد نتج عن ممارسة هذه الظاهرة من قبل الأطفال والنساء العديد من قضايا الاعتداء والاختطاف، كما أن هذه الفئة أكثر عرضة إلى العديد من الأمراض بسبب قضائهم معظم أوقاتهم تحت أشعة الشمس الحارقة في فصل الصيف، وكذا البرد القارص والأمطار والثلوج في فصل الشتاء.[2]

4-أثرها على المجتمع:

تؤدي ظاهرة التسول إلى سلوكيا غير أخلاقية بين أفراد المجتمع، مما يشكل خطرا على المجتمع، حيث يلجأ المتسولون إلى الأماكن العامة التي يجتمع فيها الناس، كالمساجد والطرقات والأسواق... وكما ذكرنا سابقا أن هاته الفئة معرضة للإصابة بشتى الأمراض والأوبئة، فقد

[1]- المرجع السابق، ص310.

[2]- آثار التسول، مرجع سابق.

تنتقل الأمراض المعدية إلى أفراد المجتمع بسبب الاحتكاك الدائم.كما يؤثر ذلك أيضا على السياحة، حيث يختار المتسولين الأماكن التي تجذب السياح، فهم بذلك يزعجون الناس ويشوهون سمعة المدينة دون مبالاة، لأن هدفهم الوحيد جمع المال.

ونتج عن هذه الظاهرة انتشار العديد من الجرائم والإرهاب وتجارة المخدرات، فنجد أن هم المتسولين الوحيد هو جمع المال دون الاهتمام لمصدره. فمنهم من يلجأ إلى السرقة وغيرها من الجرائم، فهم أكثر استجابة للمغريات المادية بسبب الفقر أو الطمع، لذا سهل استدراجهم من قبل الجماعات الإرهابية وتجميدهم لصالحهم، والاستفادة منهم في تنفيذ عمليات غير مشروعة كتجارة الأعضاء والمخدرات..، فهم بذلك يدمرون مجتمعا بأكمله من أجل الحصول على المال.[1]

5- أثرها على العمل والإنتاج:

انتشار الكدية يؤدي إلى البطالة والكسل، وهذا ما يؤثر سلبا على العمل والإنتاج، بحيث يمتنع أفراد المجتمع عن العمل الشاق ويلجؤون إلى امتهان الكدية، لأنهم يبذلون فيها جهدا بسيطا ويحصلون مقابل ذلك على مال وفير، كما أنها لا تحتاج إلى رأس مال ولا استئجار.. فكل ما تحتاجه الكثير من الذل وسقوط المروءة، وثياب رثة ومد الأيدي في المساجد والطرقات والأسواق وغيرها من الأماكن العامة.

ولقد شهدت بلاد الأندلس في العصر الوسيط اتخاذ فئة من المجتمع الكدية كحرفة، وورثوها لأبنائهم وأحفادهم، مما أدى إلى استقدام اليد العاملة، ولو رضي السائل بمهنة بسيطة لساهم في المحافظة على اقتصاد البلاد.[2]

[1]- آثار التسول، مرجع سابق.

[2]- أحكام المسألة والاستجداء في الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص307-308.

6- أثرها على أصحاب الأموال:

تساهل أصحاب الأموال في البحث عن الفقراء المتعففين، كما امتنعوا عن الإنفاق في المشاريع الخيرية، ظنا منهم أن هؤلاء السائلين أحقّ بها وأهل لها، وبالتالي فإنّ نفقاتهم تذهب هباء منثورا، لأنهم لا يستطيعون التفريق بين السائل الصادق والكاذب.[1]

ثانيا: طرق معالجة التسول في الفقه الإسلامي:

سبق وأن تطرقنا إلى حكم التسول في الفقه الإسلامي، وأن الشريعة الإسلامية حرمت هذه الظاهرة إلا على من كان له عذر، ووضعت طرقا لمعالجتها منها:

– الحث على العمل مهما كان نوعه وثمنه، لقوله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه).[2]

وقوله تعالى: {فإذا قضيت الصلاة من يوم الجمعة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون}الجمعة:10.

وإظهار مكانته والتذكير بأن الأنبياء كانوا يأكلون من عمل أيديهم، فكان سيدنا داوود عليه السلام يحترف صناعة الدروع والجلود، وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يحترف رعي الأغنام والتجارة..، فأكد الإسلام على أهمية العمل وأمر بالسعي إلى طلب الرزق ونهى عن المسألة. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ...}النساء: 97-99.[3]

---

[1]- نفسه، ص309.

[2]- خالد محمد أبو النجاة شعبان، الدراية، مجلة علمية محكمة، حكم السؤال والتسول في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، العدد الخامس عشر2015م، ص224 -226.

[3]- ظاهرة التسول حكمها وآثارها، مرجع سابق، ص 69.

– مدح الذي لا يسأل الناس رغم حاجته، ودليل ذلك قواه تعالى: { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ ... تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ }البقرة: 273.[1]

–التنفير من هذه الظاهرة، بتصوير المتسول بأبشع الصور يوم القيامة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم).[2]

– تشديد الوعيد بالعذاب الأخروي لمن يسأل الناس لغير ضرورة،[3]كما جاء في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه وسلم: (من يسأل الماس تكثرا فإنما يسأل جمرا).[4]

– رد شهادة المتسول.[5]

[1]– ظاهرة التسول حكمها وآثارها، مرجع سابق، ص69.

[2]– المرجع السابق، ص68.

[3]– مجلة الدراية، مرجع سابق، ص232.

[4]– تم تخريجه.

[5]– مجلة الدراية، مرجع سابق، ص232.

الفصل الثالث:

تصدي دولة الأندلس لظاهرة الكدية.

المبحث الأول: قيام الولاة والأمراء بأعمال البر والإحسان.

المبحث الثاني: الأحباس في الأندلس ودورها الاجتماعي.

الفصل الثالث: تصدي دولة الأندلس لظاهرة الكدية:

عايشت بلاد الأندلس في العصر الوسيط ويلات المجاعات والكوارث الطبيعية، نتيجة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها البلاد آنذاك، مما أدى إلى انتشار الأمراض والأوبئة وتفاقم الآفات الاجتماعية، وظهور فئة مهمشة متكونة من الفقراء والمساكين واليتامى والمرضى، هذا ما دفع بالبعض منهم إلى امتهان مهن تتنافى والقيم الإسلامية،ومن بينها ظاهرة التسول التي كانت عبئا على المجتمع الأندلسي، فانتشرت هذه الفئة في المساجد والأسواق والطرقات لكسب قوتهم بطرق غير شرعية، فكانوا يستغلون يوم الجمعة للدخول إلى المساجد ليستعطفوا قلوب المصلين.

مما اضطر السلطة الحاكمة آنذاك إلى إعادة النظر في شؤون رعيتها والمسارعة بإيجاد حلول للحد من هذه الظاهرة التي كانت تشكل خطرا جسيما داخل المجتمع الأندلسي بصفة خاصة وكيان الدولة بصفة عامة ، حيث قام الولاة والأمراء بأعمال البر والإحسان، التي تعد نوعا من التكافل الاجتماعي الذي شهدته الحضارة الإسلامية كنموذج تطبيقي، وقد تمثل في توزيع الصدقات على الفقراء والمساكين والمحتاجين، لسد حاجياتهم سواء في الأوقات العادية أو عند اشتداد الأزمات.[1]

المبحث الأول:قيام الولاة والأمراء بأعمال البر والإحسان:

انتشرت مظاهر البر والإحسان في المجتمع الأندلسي، وخاصة من طرف السلطة الحاكمة التي كان لها الفضل الكبير في إدخال الفرحة على قلوب هاته الفئة، ومن بين أعمال البر والإحسان في عهد الولاة والأمراء:

1-مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ، مرجع سابق، ص62.

عهد يوسف بن عبد الرحمن الفهري:

آخر ولاة الأندلس، أصيبت الأندلس بقحط شديد عام 133هـ، وقد غلت في هذا العام الأسعار وتفرق فيه الناس إلى طنجة وريف البربر مجتازين ومرتحلين، ولم يسلم من هذه المجاعة إلا إقليم سرقسطة، فلما وصله الصميل وجد قومه في سعة ووجد جماعات العرب الذين مستهم المجاعة يتوافدون إليه، ففتح خزائنه وأخذ يتصدق عليهم.[1]

عهد عبد الرحمن الداخل:هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ولد بدير حسينة دمشق عام 113هـ، توفي عام 172هـ، دفن بقصر قرطبة، دامت مدة حكمه 33 عاما وأربعة أشهر.[2]

ومن أعمال البر التي قام بها عبد الرحمن الداخل: سداد أموال الديات من بيت مال المسلمين.. والاهتمام بالرعية وأحوالهم ومتابعتهم.[3]فقد جاء أحد الناس وطلب منه حاجة أمام أعين الحاضرين فقضاها له، ثم قال: "إذا ألمّ بك خطب أو حزّ بك أمر فارفعه إلينا في رقعة لا تعدوك، كي نستر عليك، وذلك بعد رفعك لها إلى مالكك ومالكنا عزّ وجهه".[4] فلم يكن معه كريما فحسب بل حكيما واعظا.

عهد هشام بن عبد الرحمن: هو أبو الوليد هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل، ولد عام139هـ، بعد وفاة أبيه انتقل إلى قرطبة وبويع من طرف العامة والخاصة، وقعت بينه وبين

1- نفسه، ص62

2- أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1434هـ/2013م، مج2، ص56-57.

3- نفسه، ص111.

4-راغب السرجاني، رحماء بينهم قصة التكافل والإغاثة في الحضارة الإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص206.

أخيه سليمان حرب على الحكم فانتصر هشام، دام حكمه للأندلس 7سنوات و9 أشهر، توفي سنة 180هـ.[1]

كان معروفا بعدله وحسن سيرته، يهتم برعيته، حيث كان يزور المرضى ويتبع الجنائز، وكان رغم انشغاله يتصدق بالصدقات الكثيرة، كما اتخذ طريقة الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأرسل المبعوثين إلى مناطق مختلفة من البلاد ليتحروا حياة الناس وهمومهم ومشاكلهم..، وربما يخرج في الليالي المظلمة في عز الشتاء ومعه الأموال يتحرى بها حياة الناس.[2]

عهد الحكم بن هشام: هو أبو العاص الحكم بن هشام بن عبد الرحمن، ولد سنة 154هـ، بويع بعد موت والده سنة180هـ، وهو ابن السادسة والعشرين عاما، دامت خلافته26 سنة و11 شهرا، توفي سنة206هـ.[3]

كان الحكم بن هشام يكثر من الأعمال التكافلية، حيث كان يغيث الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال، الذين تعرضوا للاعتداء من طرف العدو الصليبي في شمال الأندلس.[4] وحينما وقعت المجاعة الشديدة بالأندلس عام 199هـ، وعانى المسلمون فيها ضروب الحرمان والبؤس، بادر بإخراج الأموال لهم، وأعطى الفقراء والجائعين.[5]

عهد عبد الرحمن بن الحكم: هو أبو المطرف ولد سنة176هـ، بويع بعد يوم من وفاة والده وهو ابن 23 سنة، توفي سنة 238 سنة، دامت مدة خلافته 31 سنة و3 أشهر.[6]

1- المرجع السابق، ص

2- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1949/1368م، ص19.

3- المرجع السابق، ص81.

4- ابن عذارى، البيان المغرب، مرجع سابق، مج2، ص73-74.

5-محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الوفاء، القاهرة، د ط، 1404هـ/1984م، ص290.

6- المرجع السابق، ص93-94.

واجه مجاعة كبيرة بسبب انتشار الجراد الأصفر بالأرض عام 207هـ، وعرفت البلاد غلاء فاحشا، فتكفل بإطعام الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة.[1]وكان حريصا على إرضاء الرعية وإلزام العدالة واللين والتسامح.[2]

عهد محمد بن عبد الرحمن:هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، ولد سنة 207هـ، بويع سنة 238هـ وهو ابن 30 عاما، توفي عام 273هـ. دامت مدة خلافته 34 سنة و10 أشهر.[3]

قام برفع الضرائب عن الناس، كضرائب الحشود والبعوث التي أمر بإلغائها ورفعها عن أهل قرطبة وغيرها من البلاد.[4]

عهد المنذر بن محمد: هوأبو الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، ولد سنة229هـ، بويع سنة 273 هـ وهو ابن 44 سنة، توفي سنة275 هـ ودفن بقرطبة، دامت خلافته سنتان.[5]

قحطت الأندلس عام 274هـ بسبب تأخر المطرفقام المنذر بمناسبة توليه للإمارة بإسقاط عشور السنة عن الناس وما يلزمهم من جميع المغارم.[6]

1-راغب السرجاني، مرجع سابق، ص208.

2- أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ط، دت، ص46.

3-ابن عذارى، البيان المغرب، مرجع سابق، مج2، ص109-110.

4-نفسه، ص123-124.

5- ابن عذارى، البيان المغرب، مرجع سابق ، مج 2، ص 30-31.

6- محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص316.

عهد عبد الله بن محمد: هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، ولد سنة 229هـ، بويع يوم وفاة أخيه المنذر سنة 275هـ، استتم بيعته بقرطبة بعد دفن أخيه بقصرها، توفي سنة300هـ وهو ابن 72 عاما، دامت خلافته 25 سنة و15 يوما.[1]

كان يحرص على مقابلة الرعية والاستماع إلى انشغالاتهم، حيث يقعد في الساباط يوم الجمعة، وبعدها يرى الناس ويشرف على أخبارهم، ويسمع قول المظلوم، كما كان يقعد على أبواب قصره وينتصر للمظلوم.[2]

عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله:هو عبد الرحمن بن محمد الذي قتله أخوه مطرف بن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن لن الحكم الربضي بن هشام الرضى بن عبد الرحمن الداخل، عاش 73 سنة، ولي الحكم في نفس اليوم الذي توفي فيه الأمير عبد الله (ربيع الأول عام 300هـ)، توفي عام 350هـ.[3]

ففي عهد أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر، وقعت مجاعة شديدة عام 303هـ ، حيث بلغت الحاجة بالناس مبلغا لا عهد لهم بمثله، فأصاب الوباء الناس وكثر تعداد الموتى في أهل الفقر والحاجة. فكثرت صدقات الأمير على المساكين في هذا العام وصدقات أهل الحسبة من رجاله.[4]

عهد الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر:هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الداخل، عاش 63 سنة، بويع بعد وفاة والده سنة350هـ، دامت خلافته 15 سنة و7 أشهر.[5]

1- ابن عذارى، البيان المغرب، مرجع سابق، مج2، ص 138-139.

2-نفسه ص162.

3- ابن عذارى، البيان المغرب، مرجع سابق، مج2، 164.

4-نفسه ص168.

5- ابن عذارى، البيان المغرب، مرجع سابق، مج2، ص217.

خلف المستنصر أباه في حكم الخلافة، وقد كان مهتما بأحوال المسلمين خاصة الفقراء منهم، فقد ابتنى بغربي الجامع دار الصدقة اتخذها معهدا لتفريق صدقاته.[1]

كما بادر بإخراج مال واسع لصاحب الشرطة أحمد بن نصر، ليفرقه على الضعفاء والمساكين. وفي سنة 352هـ وقعت مجاعة بقرطبة، فتكفل الحكم بالضعفاء والمساكين ووزّع عليهم نفقاته بكل ربض من أرباض قرطبة وبالزهراء.[2]

إغاثة المرابطين للأندلس:

بعد سقوط الدولة الأموية في القرن الخامس هجري، استولى المماليك النصرانية على بلاد الأندلس وأسقطوا العديد من الدول الإسلامية، فلجأ بعض أمراء وعلماء الأندلس إلى استغاثة زعيم الدولة المرابطية، فلم يتردد يوسف بن تاشفين –رحمه الله– بل قام بتجهيز العدة والعتاد وساروا إلى الأندلس، وهناك التقى مع الصليبيين في معركة الزلاقة سنة 479هـ وفيها انتصر انتصارا ساحقا على الصليبيين، ومع ذلك رفض أن يأخذ شيئا من الغنائم بعد هذا الانتصار العظيم، بل ترك كل شيء للفقراء والمساكين في الأندلس ليثبت تجرده الكامل في نصرة المسلمين.

وقد أدى الاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس آنذاك، إلى استقرار اقتصادي واجتماعي، ويظهر ذلك في تعامل المرابطين مع طبقات المجتمع المختلفة، حيث ألغوا الضرائب الباهظة الثمن عن التجار، لتوفير العيش الكريم للمسلمين وتوافر حد الكفاية لهم، فأصبحت الفئات الفقيرة موضع اهتمام أمير المؤمنين.[3]

1- نفسه، ص 240.

2- نفسه، ص220-221.

3- راغب السرجاني، رحماء بينهم، مرجع سا بق، ص212-213.

شهدت الأندلس في العصر الوسيط أزمات اقتصادية وكوارث طبيعية سببت لهم مجاعات شديدة، غير أن السلطة الحاكمة كانت حاضرة بعتادها،فقدمت مساعدات مادية ومعنوية لرعاياها الفقراء والمحتاجين، ولم تقتصر المساعدات على الولاة والحكماء فحسب، بل شملت حتى العامة من أصحاب الأموال الذين سارعوا إلى أعمال البر والإحسان.

وعند سقوط الدولة الأموية كان الفضل لله عزّ وجل ثم لزعيم الدولة المرابطية يوسف ابن تاشفين الذي سارع إل الأندلس وهزم عدوهم، وأهدى الغنائم لمسلمي الأندلس وضعفائها.

المبحث الثاني: الأحباس في الأندلس ودورها الاجتماعي.

الحبس لغة: يعبر بعض الفقهاء بالحبس، وبعضهم بالوقف، والوقف عندهم أقوى من التحبيس، والحُبس بالضم من حبس حبسا فهو محبس وحبيس، واحتبس فرسا في سبيل الله أي وقفه، والحبس بوزن القفل وما وُقفَ والجمع أحباس، يقع على كل شيء وقفه صاحبه، وقفا محرما لا يباع ولا يوهب ولا يورث.[1]

اصطلاحا: "يقول ابن عبد البر: الحبي أن يتصدق الإنسان المالك لأمره بما شاء من ربعه ونخله وكرمه وسائر عقاره لتجري غلات ذلك وخراجه ومنافعه في السبيل التي سبلها فيه مما يقرب إلى الله عزّ وجل ويكون الأصل موقوفا لا يباع ولا يورث ولا يوهب".[2]

مشروعيته:

لم يرد مصطلح الحبس أو الوقف بشكل صريح، إلا أن فكرة حفظ الأصل والإنفاق من الدخل موجودة، بمناسبة الكلام عن اليتامى وإدارة الأموال، فالوقف عند الجمهور لازم، وهو

1- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مج6، مادة حبس، ص45.

2- ابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تح: محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1400هـ/1980م، ج2،ص1012.

سنة مندوبة إليهم، ومن الآيات التي تتضمن فكرة حفظ الأصل والإنفاق قوله تعالى: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ }آل عمران، الآية: 92.[1]

خزانة بيت مال المسلمين:

عرفت الدولة الأموية في الأندلس في عهد عبد الرحمن الثاني هذا النوع من الخزائن، خصص لجمع أموال الأوقاف، يشرف عليه قاضي الجماعة لتوفره على شروط العمل فيه – الغنى، العدل، والثقة–، ويجب أن يكون القاضي على علم بأحوال الرعية. وتتعدد مصادر بيت مال المسلمين ما بين أحباس، ومال غيبة، وزكاة.

كان خلفاء بني أمية يتنافسون مع أصحاب الأموال في تحبيس أموالهم مواساة للضعفاء والمساكين واليتامى، كما تحبس أموال وممتلكات الغائب إن لم يكن له ورثة، وكذا الميت الذي ليس له ورثة إلا زوجه، فما يتبقى من الميراث يصرف إلى بيت مال المسلمين، وكذلك المرتد إذا لم يعد للإسلام تصرف ممتلكاته إلى بيت مال المسلمين.[2]

وتختلف الأحباس عن الزكاة، فالزكاة أحد أركان الإسلام، وهي إخراج مال مخصوص من مال مخصوص إذا بلغ نصابا لمستحقه، وقد حرص الأمويون على جمع أموال الزكاة من مستحقيها، وأشرف على ذلك فئة من الذين وجبت عليهم الزكاة أُطلق عليهم اسم "مصدق".[3]

1- عبد القادر ربوح، الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي مابين القرن 4-9هـ/10-15م، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1426-1427هـ/2005-2006م، ص13.

2-عزمي نئ مأ، دور عبد الرحمن الثاني في الانفتاح السياسي في الأندلس للخارج وتطبيقاته في المجتمع الإسلامي، مذكرة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الأمير سونكجلا نكرين، ص75.

3- نفسه، ص76.

الخزانة الخاصة:

هذه الخزانة خاصة بالأموال التي تركها الأمراء الأمويين لأبنائهم، وكذلك الضرائب التي تؤخذ من الأسواق وكانت كثيرة، وبالتالي كانت هذه الخزانة ضخمة جدا، كما حبس عبد الرحمن الثاني ربع ورثه عن والده ليقسمه على الفقراء والمساكين في الدولة الأموية، وكانت إذا حلت مجاعة بأهل قرطبة بادر إلى مد يد العون لهم.[1]

الدور الاجتماعي للأحباس

كان للأحباس دور كبير في توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء والمساكين واليتامى والمرضى، حيث يسرت لهم سبل العيش الكريم[2]، باعتبارها من الصدقات الجارية، لذلك ارتبطت الأوقاف الإسلامية بالصدقات. فأول وقف في الإسلام كان سبع حوائط أوصى بها مخيريق اليهودي الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضعها حيث أراه الله، فجعلها الرسول صلى الله عليه وسلم صدقة في سبيل الله.[3]

1- أحباس الفقراء واليتامى والمساكين:

ساهمت الأحباس في معالجة ظاهرة الفقر، ومساعدة الفقراء واليتامى والمساكين والمرضى، بما خُصص لهم من ملبس ومأكل... وغيرها من أنواع الرعاية.

فكان المكلف بالأحباس يختار المساكين المستحقين ريع الوقف، ويحدد مقدار ما يستحقونه باجتهاده، كما كان يقوم بتأجير بعض الأوقاف المحبسة على المساكين يدفع به ثمن الكراء ويشتري به غالبا ثيابا يوزعها على المساكين في الأعياد.[4]

1- نفسه، ص76-77.

2- بلبشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من ق6هـ إلى ق9 هـ، 12-15م، من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، 2009-2010م، ص108.

3- عبد القادر ربوح، الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي، مرجع سابق، ص110.

4- الونشريسي، المعيار المعرب، مصدر سابق، ج7، ص300.

لا تقتصر الأحباس على الأموال فقط، فقد خصص أهل الأندلس أحباسا تخدم هذه الفئة من الناس، كحبس الأراضيفي قرطبة على الفقراء والمرضى[1]، بشرط أن لا تتجاوز مدتها أربع سنوات حتى لا تستهلك بطول مدتها.[2]

ذكر ابن العطار وقف بعض الأراضي الزراعية في بلدة قرطبة على هذه الفئة[3]، كما وقفت فدان في غرناطة على مصرف للمساكين والفقراء، ولما أصبح لا منفعة فيه رأى الفقهاء بيعه وشراء فدان آخر وتحبس غلته في مكان الفدان الأول.[4]

ووقف رجل أرضا على الفقراء والمساكين، وقد أضر الجيران بهذه الأرض فأمر القاضي ببيعها وشراء أرض أخرى.[5] ووقف آخر ضيعة بمرية على ضعفاء من قبل أبيه وأمه، فبدأ بأهل الحاجة منهم على ألصق القرابة منهم إليه، فأعطى كل واحد منهم قوته وكسوته.[6]ووقف رجل من مدينة بلش أرضا زراعية على المساكين.[7]

وهذه الأراضي لم تقتصر على الانتفاع بثمرها فحسب، بل كانت مصدرا لشراء الخبز كما أشارت النوازل الفقهية إلى الأراضي التي وقفت على المساكين ببلش.[8] وأن الواقف أوصى أحيانا بأن يكون فدانه موقوفا على المساكين بعد وفاته، يؤخذ ريعه ويشرى به خبزا يفرق على

1-محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن العطار، كتاب الوثائق والسجلات، تح: شالمينا، ف. كورينطي، مجمع الموثقين المجريطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، دط، 1983، ص180.

2- نفسه، ص187.

3- ابن العطار، الوثائق والسجلات، مصدر سابق، 182.

4- الونشريسي، المعيار المعرب، مصدر سابق، ص199-200.

5- نفسه، ص200.

6- أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدى، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى، تح: د. نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط1، 1415هـ/1995م، ج1، ص695-696.

7-الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ج1، ص157.

8- نفسه، ص107.

الضعفاء والمساكين في شهر رمضان[1]، وكذلك شراء الثياب، فبعض الأثرياء من أهل المرية اهتموا بوقف الضياع والبساتين على أهاليهم، وكان يصرف ريع تلك الأوقاف في توفير الثياب لهم. كما كان الناظر يقوم بتأجير بعض الأوقاف المحبسة على المساكين ويُؤخذ ثمن الكراء ويُشترى به ثيابا توزع على المساكين في المناسبات الدينية.[2]

قام الحكم المستنصر بالله ببناء المنازل للفقراء والضعفاء في الجهة الغربية لجامع قرطبة.[3]

وهناك من حبس دورا له بالقرب من جامع قرطبة لسكنى الضعفاء، وكانت بعض الأحباس تنفقُ في توفير الغذاء واللباس.[4]

وقد حبست امرأة بسطة زاوية على الفقراء يجتمعون فيها، وينزلون فيها من يرد عليهم من الغرباء.[5]

كما حرص الأندلسيون على حبس الرحى لفائدة اليتامى والمساكين وابن السبيل، مثل الطواحين الحبوس، وهي ثلاثة طواحين موجودة بفحص الرحى قرب قرطبة، محبوسة على ذلك، وكذلك حبس رجل من أهل الأندلس رحى له في فائدة ذلك على الفقراء والمساكين.[6] وهناك من جعل لبن بقرته للمساكين.[7]

من خلال اطلاعنا على بعض الأحباس تبين لنا أن الحبس لا يقتصر على المال فقط، بل على كل ما تحتاجه الفئة الهشة من المجتمع الأندلسي، فالوقف يقصد به عادة الأراضي التي تخصص لأغراض دينية، تحبس على الفقراء والمساكين واليتامى والمرضى.

1- نفسه، ص182-183.

2-نفسه، ص477-478.

3- المقري، نفح الطيب، مصدر سابق، ج1، ص556.

4- ابن سهل، الإعلام، مصدر سابق، ج2، ص1066.

5- الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ص115.

6- نفسه، ص461.

7_ نفسه، ص105.

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تكافل المجتمع الأندلسي وتعاطفه مع الفقراء والمساكين والمحتاجين والمرضى، ومد يد العون لهم.

2- الأحباس كوسيلة للتضامن الاجتماعي:

حث الإسلام على التضامن مع الفقراء والمساكين والمرضى والتخفيف من آلامهم، وذلك عن طريق فرض الزكاة على من بلغ ماله النصاب ودار عليه الحول، وكذلك الأمر بالصدقة على الفقراء المساكين.

الرعاية الصحية:

أدرك الأندلسيون مدى خطورة الأمراض المنتشرة، واجتهد الأطباء في إيجاد علاج لها، ووقفوا أراضي للمجذومين وسميت بأرض المساكين، فوقفت بعض الأراضي للمرضى عُزلَ فيها جُذَامى قرطبة، وكانت توزع عليهم الصدقات من حين لآخر، كما حرص بعض الواقفين بالحبس عليهم.[1] وتم تحديد مكان تم حبسه خصيصا، لخطورة هذا المرض وسرعة انتشاره.[2]

فكان للأحباس دور هام في المجال الصحي، وقد اشتهرت بلاد الأندلس بالمشافي المخصصة للمرضى الذين يستعصي علاجهم، أو يطول، أو مصابين بأمراض معدية، في حي قائم بنفسه يطلق عليه اسم "ربض المريض"، يقوم على يد جماعات متطوعة مما تتلقاه من أهل الخير، أو مما يوقف عليها من مال أو عقار.[3]

وكانت تدفع رواتب الأطباء من الريع المخصص لها.[4]

ويُذكر أن هناك أناس غرباء جاءوا إلى قرطبة، وقد علموا بهذا الوقف فطالبوا بحقهم منه، فسألهم القاضي عن مدة إقامتهم بقرطبة، فلما بلغه أنهم أقاموا أكثر من أربعة أيام أعطاهم

1-ابن العطار، الوثائق والسجلات، مصدر سابق، ص173.

2- الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ج7، ص38-39.

3- الطاهر أحمد مكي، دراسات عن ابن حزم، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1993م، ص32.

4- زيغريدهونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط2، 1969، ص233.

الحق في الاستفادة من الصحي الذي كان يوفره وقف قرطبة لأبناء قرطبة، لأن الإقامة التي تقطع السفر عند الإمام مالك رحمه الله هي أربعة أيام.[1]

البيمارستانات في الأندلس: قامت السلطة الحاكمة في والرعية ببناء البيمارستانات وتطويرها، ووضعوا بها خزانة بيت مال المسلمين، للإنفاق منها على المرضى وتوفير الأدوية لهم وكذا دفع رواتب الأطباء، ولم تقتصر خدمات البيمارستانات على فئة معينة بل شملت كل فئات المجتمع، فقدت اهتمت حتى بالغرباء.[2]

مارستان غرناطة:

"أسسه السلطان محمد الغني بالله سنة767هـ-768هـ لضعفاء مرضى المسلمين، ووقف الأوقاف عليه، وقد خلد ذكرى بناء هذا المارستان في لوح رخامي كتب عليه بالخط العادي الأندلسي، واحتوى اللوح الرخامي على معلومات توضح تواريخ ومدة البناء، كما حدد النص المنتفعين به، هذا إلى جانب عبارات كثيرة تجزل الثناء للسلطان، وتؤكد على أسبقيته لبناء مارستان لم تشهد الأندلس مثله منذ فتحها".[3]

عرفت بلاد الأندلس في العصر الوسيط أزمات اقتصادية واجتماعية، نتج عنها انتشار بعض الآفات الاجتماعية، كالفقر والبطالة والأمراض والأوبئة والمجاعات ..، مما أدى بالفئة المتضررة إلى امتهان سلوكيات غير أخلاقية شكلت عبئا على المجتمع الأندلسي، من بينها الكدية، لكن سرعان ما تداركت السلطة الوضع وراحت تحارب هذه الظاهرة، بالإقدام على أعمال البر والإحسان للفقراء والمساكين واليتامى والمرضى، أما من يجدونه قادرا على العمل

1- المجلة العربية، مجلة شهرية – العدد(528)، 1 سبتمبر 2020، محرم1442هـ، دار المجلة العربية للنشر والترجمة.

2- مركز جيل البحث العلمي، مجلة جيل العلو الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي، العام السابع –العدد65- يونيو 2020، ص146.

3- نفسه، ص149.

ويمتهن التسول سبوه وأهانوه، فضلا عن أن يتصدقوا عليه، كما حاربوا الذين كانوا ينتشرون في رحاب المساجد يستدرون عطف المصلين.

بالإضافة إلى ذلك إنشاء خزينة سميت ب "بيت مال المسلمين" تجمع فيها أموال الأحباس التي تُحبَسُ من قبل الولاة والأمراء وأصحاب الأموال من العامة من الناس.

ولا تقتصر الأحباس على الأموال فحسب، بل كل ما فيه منفعة، من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، وكذلك الأراضي الزراعية والرعاية الصحية.

حيث بلغت عناية الأوقاف بالرعاية الصحية وتطوير خدماتها، أن خصصت أوقافا وُقفَت على رعاية جميع المرضى حتى الغرباء منهم، حيث أُنشئت مؤسسات طبية تخدم خدمات صحية من علاج وعمليات وأدوية وأطعمة..، كانت مجانا بفضل الأوقاف التي كان المسلمون يحبسونها لهذه الأغراض. ولم يقتصر دورها على تقديم العلاج فحسب، بل تعدى ذلك إلى تدريس الطب..

وبالتالي فإن أهمية في الحياة الاجتماعية تتمثل في الإنفاق على المشروعات الخيرية ذات الطابع الإنساني، وتندرج في جملة العمل الصالح الذي يشمل نفعه عامة الناس، وبناء الحضارة الإسلامية على أساس المبادئ التي أقرها الإسلام وحضت عليها النصوص الشرعية.

خاتمة

خاتمة:

الحمد لله والصلاة على رسول الله أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن ولاه إلى يوم الدين أما بعد:

وبهذا نكون قد أكملنا بعون الله وفصله هذه الدراسة والتي كانت بعنوان الكدية وأهلها في بلاد الأندلس في العصر الوسيط ولقد وصلنا إلى نهاية الموضوع والذي من خلاله استطعنا استخلاص مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

– أن للتسول جذور تاريخية، وقد اتخذت أشكالا مختلفة حسب الزمان والمكان.

– أن التسول محرم في الشريعة الإسلامية.

– أن الشريعة الإسلامية أجازت التسول في حالات وهذا ما ورده في الحديث الصحيح وهي: لمن تحمل حمالة أو لمن أصابته جائحة أو من أصابته فائقة وهذا الجواز مرتبط بزوال تلك الحالات.

– أن الشريعة الإسلامية وضعت أساليب وقائية كثيرة لمنع وقوع التسول وهذا ما سنه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

– لقد وضعت الشريعة الإسلامية عقوبة للسائل المستكثر انقسمت إلى عقوبات دنيوية وعقوبات أخروية مع حثه على ترك المسألة.

– تصدي أمراء وملوك بلاد الأندلس لظاهرة الكدية، بالتصدق من أموالهم على الفئة الهشة في المجتمع، وردع المحتالين.

– إنشاء خزينة تودع فيها أموال الأوقاف "تسمى بيت مال المسلمين"، كان لها دور كبير في القضاء على هذه الظاهرة تحبس فيها أموال الولاة والأمراء وأصحاب الأموال من العامة من الناس، على الفقراء والمساكين واليتامى والمرضى..

– كان للأحباس دور في توفير كل متطلبات الحياة للفقراء والمساكين واليتامى والمرضى وتوفير الرعاية الصحية لهم.

مصطلح الكدية حمل العديد من المضامين منها التسول والتحايل والمراوغة للكسب والكدية تتقارب من حيث العرف والاصطلاح مع اللصوصية، لأن التكدية ليست مجرد السؤال والاستجداء كما يفيد معناها اللغوي، وإنما أخذت معنى اصطلاحيا متعدد الوجوه كثير الدلالات، فأصبحت تتضمن معنى الاحتيال من اجل المال بمختلف الأساليب والوسائل الغير مشروعة من استخدام القوة، والاستيلاء بالعنف والغلبة إلى استغلال غفلة الجمهور وغرائر الرحمة والرقة.

المكدون فئة احترفت سؤال الناس والاستجداء في الظاهر، ولكنها استخدمت في ذلك وسائل من الاحتيال والتلون والأساليب الغير مشروعة لجمع المال وتحصيله، معتمدة على سذاجة الجمهور وغفلتهم لتحقيق مآربهم الشخصية وغاياتهم الذاتية.

وعليه فإن شريحة المتسولين لم تكن سوى إفرازا للأزمات وانعكاسا للتمايز الاجتماعي الذي تمخض عنه بروز تناقضات اجتماعية، وقطاعات غير قادرة على تحصيل عيشها، عاجزة عن الاندماج في عملية الإنتاج كما أن بعض السؤال نهجوا أسلوب الانقطاع والانزواء في المساجد، استدرار لعطف المصلين مستغلين فرصة يوم الجمعة لولوج المساجد رجاءً في الصدقة والإحسان، وثمة من المتسولين من جلبوا على الالتجاء إلى أبواب المنازل والسؤال عن حاجتهم.

ومن هنا يفهم أن ظاهرة التسول كانت 'حرفة' لها قواعدها وأسلوبها الخاص، مما جعل الرعايا يتخذون أحيانا أسلوب الحيطة والحذر من بعض السائلين بل الامتناع عن تقديم أي مساعدة للقادرين على العمل.

إن التهميش الذي كان عليه المتسولون يندرج ضمن موقعهم في الخارطة الاجتماعية، وأنهم مثلوا شريحة لم يكن لها أي دور في عملية الإنتاج، بل أنها مثلت عبئا ثقيلا على الدولة والتي عجزت عن استيعابهم ودمجهم في كيان المجتمع فضلا عن بعدهم عن الساحة السياسية، لذلك ليس من سبيل الصدفة أن يغدو نسيا منسيا.

إن انتماء المتسولون إلى أصول اجتماعية فقيرة معدمة، نشأت عن التحولات الاقتصادية التي شهدها المجتمع الأندلسي واستفحال الفوارق الطبقية وازدياد حركة البذخ والترف، وانسلاخ بعض الأمراء عن المبادئ الإصلاحية التي حملوها في بداية دعواتهم ويجنحون إلى المتعة والدعة والانغماس في حضارة استهلاكية نجم عنها كثرة النفقات وإفراغ بيت المال وارتفاع الأسعار بشكل مدهش، هذه الأزمات الاجتماعية تجدرت وألقت بثقلها على كاهل المجتمع.

تطلب شخصية المكدي براعة في التمثيل ليقتبض أموال الآخرين عبر التمويه والخداع وكانت مطالب المكديين أحيانا ضروريات الحياة، لذلك اتخذوا من الأماكن العامة الآهلة بالشعب مرتعا لهم كالمساجد والأسواق.

كما يعتبر الفقر والحاجة أهم سببين من أسباب انتشار ظاهرة التسول، إذ أن الإنسان الفقير المعدم يسعى من خلال التسول إلى تأمين وسد احتياجاته من قوت وغيره.

الفقر مشكلة اجتماعية واقتصادية في آن واحد فلا يكاد يخلو مجتمع من الفقر، فالناس على أصناف فمنهم الفقير ومنهم الغني والإسلام تكفل بإغناء الفقير فقد جعل له نصيبا مفروضا من الزكاة، وأباح له السؤال إذا كان فقره شديدا ومضطرا لذلك.

كما يعد التسول ظاهرة اجتماعية تعكر صفو المجتمع، فهو عار على المجتمع الذي ينشر فيه لأنه يدل على عدم تكافئ الفرص وعدم التكافل بين أفراد علاوة على انه وصمة عار في جبين ممتهنه حيث يدل على تكاسله وتخاذله وخموله في طلب وتحصيل الرزق بعمل يده.

إن التسول سلوك يربي في الفرد الذلة والمهانة، فهو يحط من كرامة السائل ويعود على مد يده ولا يخفى أنه لا الفقر الشديد ولا الغنى الفاحش يخدم الجانب الأخلاقي لما في الحالتين من خروج عن الوسطية التي تؤدي إلى الاستقرار الأخلاقي، فالفقر المدفع قد يدفع إلى السرقة والقتل، والغنى الفاحش قد يؤدي إلى تبذير الأموال في الترف والمجون.

عبر المكدون عن حيرتهم وألمهم وإحساسهم بالاغتراب الدائم نتيجة انعدام المال، فكان المجتمع لن يضم إلا من كان ذا جاه وسلطان، والمال هو الهوية التي تعبر عن الانتماء له.

لقد كان العوز والحاجة سمة بارزة في حياة المكدين، حاولوا التعبير عنها بالتفجع والشكوى مما هم فيه البؤس والحرمان والافتقار لضروريات الحياة ولم يقتصر الأمر على الجانب المادي فحسب، بل تجاوزه إلى الجانب الحسي كالافتقار للأسرة والاستقرار.

كما أن الاحتيال هو الظاهرة الاجتماعية التي نشأت في المجتمعات التي تتسم في غالبيتها بالعدل ويسود فيها الظلم والاحتيال عدة صور مثل الكدية والتسول والتطفل والنصب والسرقة وغيرها، ويقوم المحتالون بنصب شباكهم ويستخدمون حيلهم ومكائدهم للحصول على مرادهم، فمنهم من يحتال من أجل المال أو من أجل الطعام، في مجتمع يفتقد إلى العدل والمساواة، خاصة بين طبقات تنعم بعضها بالمال والبذخ والترف في مقابل طبقات أخرى تكدح وتشقى وتعاني في ضيق ذات اليد والظلم والاضطهاد تحت وطأة الحكام وعلي القوم.

إن مظاهر الاتفاق بين الصعاليك والمكدين أن نقطة واحدة وهي الفقر والحاجة وأن الغاية واحدة وهي الاعتناء، ولكن المكدي في الأصل من صادف الكدية وجعلها مهنة، أما الصعلوك هو الذي يواجه الفقر الذي عليه مسالك الحياة عن طريق الذهب والسلب والقتل والتخريب والإغارة.

العمل هو السبب لكسب المعاش، وهو الدعامة التي تقوم عليها المجتمع الإنساني، فهذا يحل من أفراد المجتمع يزرع ويمتهن الفلاحة، وذلك يصنع، وآخر يتاجر، وغيره يعالج المرضى أو يسهم على حفظ الأمن، أو يدافع عن الوطن إلى غير ذلك من الأعمال التي يقتضيها نظام الجماعة البشرية، ومن أجل ذلك حث الإسلام على العمل وحظ على

الكسب من طرق مشروعة لقوله جز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ الملك الآية: 15.

خلق الله عز وجل بني آدم، وأوكل إليه مهمة الاستخلاف في الأرض وعمارتها، وأراد من هذا الإنسان بعد تحقيق العبودية له أن يكون قويا منتجا، لامتكاسلا متخاذلا متواكلا، فحث الإسلام على العمل وبين أن أفضل وأطيب ما أكل الإنسان ما كان حلالا ومن كسب يده، وأثنى عز وجل على الإنسان الصابر الذي مع حاجته لا يسأل إنما يصبر ويبحث عما يعفه.

أحل الإسلام المسألة للحاجة والضرورة القصوى ولم يحرمها مطلقا، لأن في تحريمها مطلقا ضياع لبعض الناس.

شهدت الأندلس في العصر الوسيط أزمات اقتصادية وكوارث طبيعية سببت لهم مجاعات شديدة، غير أن السلطة الحاكمة كانت حاضرة بعتادها،فقدمت مساعدات مادية ومعنوية لرعاياها الفقراء والمحتاجين، ولم تقتصر المساعدات على الولاة والحكماء فحسب، بل شملت حتى العامة من أصحاب الأموال الذين سارعوا إلى أعمال البر والإحسان.

بالإضافة إلى ذلك إنشاء خزينة سميت ب "بيت مال المسلمين" تجمع فيها أموال الأحباس التي تُحبَسُ من قبل الولاة والأمراء وأصحاب الأموال من العامة من الناس.

ولا تقتصر الأحباس على الأموال فحسب، بل كل ما فيه منفعة، من مأكل ومشرب وملبس ومسكن، وكذلك الأراضي الزراعية والرعاية الصحية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**
- **المصادر:**

1.ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الأمل للدراسات، الجزائر، دط، 2009، ج1.

2.ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 2006.

3.ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله الدرويش، دار يعرب، دمشق، د ط، 2004م.

4.ابن عبد البر، الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تح: محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1400هـ/1980م.

5.ابن عبد الرؤوف، رسالة في الحسبة والمحتسب، منشورة في ثلاث رسائل ضمن آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفسيونال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، دط، 1955م.

6.ابن عبدون، رسالة في الحسبة، نشرها ضمن ثلاث رسائل في الحسبة، تح: ليفي بروفسيونال، القاهرة، دط، 1955م.

7.ابن قيم الجوزية، موسوعة الأعمال الكاملة (جامع الفقه)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1421هـ/2000م.

8.أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى، تح: نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط1، 1415هـ/1995م، ج1.

9.أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1434هـ/2013م، مج2.

10. أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية الأندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1401هـ/1981م، ج11.

11. أبو الفضل أحمد بن يحي بن الحسين بن يحيى، مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1426هـ/2005م.

12. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ/2006م، ج3.

13. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب الرعيني، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ/1995م، ج3.

14. أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، المروءة وخوارمها، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، الجيزة، ط1، 1420هـ/2000م.

15. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، دار الحكايات للطباعات والنشر والتوزيع، ط1، 2003م.

16. الحافظ بن حزم الظاهري، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، ج11.

17. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة،بيروت، لبنان، دط، 1418هـ/1998م، ج1.

18. عبد الملك الثعالبي النيسابوري أبو منصور، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، مج2.

19. عبد الهادي حرب، موسوعة أدب المحتالين، دار التكوين، دمشق، دط، 2008م.

20. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1368هـ/1449م.

21. محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن العطار، كتاب الوثائق والسجلات، تح: شالمينا، ف. كورينطي، مجمع الموثقين المجريطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، دط، 1983.

22. محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تح: عبد المجيد الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2000م، ج4.

23. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر في أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح: مصطفى البغا، دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/1978م، ج2.
24. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2002، ج3.
25. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، دط، 1968، ج1.
26. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله تعالى والحروب الواقعة بينهم فيها، طبع في مجريط بمطبع بدينر المسيحية، دط، 1867م.

❖ **المراجع:**

27. إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، ط1، 1995م.
28. إبراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، دط، 1119م، ج1.
29. أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، منشورات لكلية الآداب، الرباط، ط2، 1997م.
30. أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، الخراج، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 1399هـ/1979م.
31. أحمد الحسين، أدب في العصر العباسي، دراسة في أدب الشحاذين والمتسولين، دار الحصاد للنشر والتوزيع بسورية، دمشق، ط2، 1995م.
32. أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، دط، دت.
33. إسماعيل قيرة، أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، دط، 2006م.
34. آنجيلجانثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، دط، دت.
35. راغب السرجاني، رحماء بينهم قصة التكافل والإغاثة في الحضارة الإسلامية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2010م.

36. زيغريدهونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط2، 1969م.

37. سيف الدين سعيد المحروقي، نماذج إنسانية في السرد العربي القديم، دار الكتب الوطنية، ط1، 1431هـ/2010م.

38. الطاهر أحمد مكي، دراسات عن ابن حزم، دار المعارف، القاهرة، دط، 1993م.

39. محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، دار الوفاء، القاهرة، دط، 1404هـ/1984م.

40. يحي بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (صحيح مسلم بشرح النووي)، مؤسسة قرطبة، ط2، 1414هـ/1994م، ج7.

41. يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، فتح الممالك بتبويب التمهيد لابن عبد البر على موطأ الإمام مالك، تح: مصطفى صميدة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، مج 10.

42. يوسف شحدة الكحلوت، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف، الجامعة الإسلامية، غزّة، دط، 1431هـ/2010م.

❖ **المعاجم والقواميس:**

43. أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، دط، دت، ج5.

44. الإمام الجوهري، الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، دط، دت، ج6.

45. جمال الدين محمد ابن منظور أبو الفضل، لسان العرب، المطبعة الميرية، ببولاق، مصر، ط1، 1307هـ، ج20.

46. محمد بن بكر الرازي، مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1995م، ج1.

47. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1995م، ج1.

48. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتاح الحلو، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دط، 1418هـ/1991م، ج35.

49. نور الدين بن علي بن أبي بكر الهيثمي، معجم الزوائد ومنبع الفوائد، تح: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، دط، 1414هـ/1994م، ج3.

❖ **المجلات:**

50. هادي كبة نجاح ، في أدب الكدية، العصر العباسي نموذجا، مجلة أرشيف الثقافة الجديدة، العدد 367، تموز، 2014.

51. عبد الرحمن مزعى، الكدية في المقامات الحريرية، الكرمل أبحاث في اللغة والأدب، العدد117، 1996.

52. خالد محمد أبو النجاة شعبان، الدراية، مجلة علمية محكمة، حكم السؤال والتسول في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، العدد 15، 2015م.

53. المجلة العربية، مجلة شهرية، العدد (528)، 1 سبتمبر 2020م، محرم 1442هـ ، دار المجلة العربية للنشر والترجمة.

54. خالدة عزايزة، عناصر مشتركة في أدب الطفيليين والمكدين والبخلاء،جامعة العدد 7.

55. مركز جيل البحث العلمي، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة علمية دولية تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي، العام السابع، العدد -65-، يونيو، 2020م.

❖ **الرسائل الجامعية:**

56. إسراء محمد نجيب بوعمر، العنصرية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة الأموية (92-422هـ) (710-1031م)، أطروحة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الأندلسي، كلية الدراسات العليا في جامعة الخليل، 1439هـ/2017م.

57. خميسي بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

58. سامية جباري، الأزمة الأخلاقية في المجتمع الأندلسي، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007م.

59. سميرمرزعي، السلطة والمجتمع في عصر ملوك الطوائف خلال القرن 5هـ/11م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، أحمد بن بلة، 1438-1439هـ/2017-2018م.

60. عبد القادر ربوح، الأحباس ودورها الأندلسي مابين القرن 4-9هـ/10-15م، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1426-1427هـ/2005-2006م.

61. عزمي نئ مأ، دور عبد الرحمن الثاني في الانفتاح السياسي في الأندلس للخارج وتطبيقاته في المجتمع الإسلامي، مذكرة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الأمير سونكجلا نكرين.

62. عمر بلبشير ، جانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من ق6-9هـ/12-15م، من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، 2009-2010م.

63. مسعودة حميري، احتراف التسول وآليات مكافحته بين الشريعة والقانون الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص شريعة وقانون، 1436-1437هـ، 2015-1016م.

64. مها كريم المور، الخصائص الاجتماعية والثقافية للمتسولين في الأردن، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية، 2002م.

65. هيثم محمود إبراهيم أحمد، الاحتيال في مقامات الحريزي العبرية مصادره وأشكاله وأهدافه – دراسة نقدية–، رسالة ماجستير في الأدب، قنا، 2011م.

❖ **المقالات:**

66. آيات سعيد نواورة، آثار التسول، آخر تحديث 12:37. 3 مارس 2020.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ - ح
مدخل	10 - 23
الفصل الأول: الكدية بين المفهوم والنشأة والحكم	25 - 41
المبحث الأول: مفهوم الكدية	25 - 28
المبحث الثاني: ظهور الكدية وأسباب انتشارها	29 - 33
المبحث الثالث: الكدية والاحتيال	34 – 36
المبحث الرابع: حكم التسول في الفقه الإسلامي	36 – 41
الفصل الثاني: أساليب الكدية وطرق معالجتها من الناحية الفقهية	43 -63
المبحث الأول: أصناف المكدين وصفاتهم	43 – 53
المبحث الثاني: السبل التي يسلكها المكدي	54 - 58
المبحث الثالث: الآثار المترتبة عن الكدية وطرق معالجتها في الفقه الإسلامي	55 - 63
الفصل الثالث: تصدي دولة الأندلس لظاهرة الكدية	65 - 81
المبحث الأول: قيام الولاة والأمراء بأعمال البر والإحسان	65 – 72
المبحث الثاني: الأحباس ودورها الإجتماعي	72- 81
خاتمة	83 - 87
قامة المصادر والمراجع	89 - 95
فهرس الموضوعات	97 - 98